العالم الراحل

يصادف صدور هذا العدد يوم تنادت فئة من شباب مدينة حماه ، لاحياء ذكرى العالم المحقق الراحل احسان العظم بمناسبة مرور اربعين يوما على وفاته .

ومجلة الثقافة التي عرفت في الاستاذ العظم العلم والمعرفة وسعة الافق الثقافي ، تقف لتشارك هذه الفئة الطيبة من الشباب مباركة فيهم هذه البادرة . بالاضافة الى ما قدموه من قبل في تكريم ادباء مدينتهم وشعرائها . ولا اقل من ان نرفع اليهم تحية الشكر والتقدير لما يبذلونه من الجهد الكبير في هذا المضمار

واذا كان لنا من امل نعقده على ادباء القطر العربي السوري في محافظاتهم كافة فهو ان يتخذوا من مبادرة اخوانهم ادباء حماه ممن كان لهم السبق في هذا المجال قدوة لتكريم ادباء محافظاتهم وهم احياء ، اعترافا بما قدموه لامتهم من خدمات جلى .

وجريا على عادتنا فان مجلة الثقافة ستكون دائما الى جانب هؤلاء الذين يعرفون اقدار رجالاتهم ويعملون على تكريمهم ، والاعتراف بفضلهم .

رئيس التحرير

الثقافة

فكرية جامعة تصدر في دمشق

صاحبها ورئيس تحريرها

مدحة عكّاش

الادارة والتحرير

ص.ب ٢٥٧٠

هاتف « ٢٢٩٩٨٤ »

دمشق - الجمهورية العربية السورية

REVUE

« AL _ SAKAFA »

PROPRIETAIRE – DIRECTEUR EN CHEF

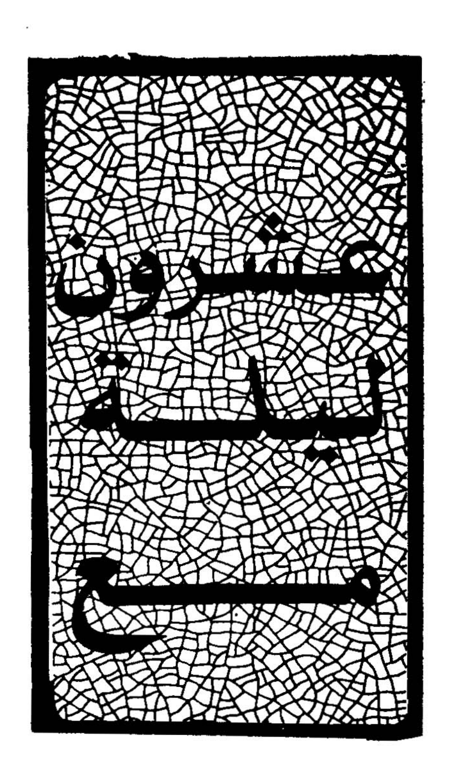
MIDHAT AKKACHE

DAMAS R. A. S.

B. O. P. 2570

Te L. 229984

ايلول ١٩٧٨



ارنولد توينبي

بقلم سهيل عثمان

تبثت أن الديباج في مخدع شهريار الملك ما يزال زاهيا ، وأن شهرزاد تقبل في نفس الميعاد وتجلس بين يدي مليك الزمان الابدي وعلى مقربة منها دنيازاد صورة على سجادة أعجمية . وقد وصلتني مؤخرا عشرون ليلة من الليالي الحديثة أترجمها لكم حرفيا.

في الليلة الاولى قالت دنيازاد « قد أصبحنا يا أختاه نعرف الكثير عن الانس والجن والعفاريت والتجار والصيادين والديانات والملوك فهلا اطللنا بنظرة شاملة رابطة لكل هذه الامور فقد أمسينا قادرين على متابعتك في هذه النظرة » فتجيبها شهرزاد اذن سوف اتحدث عن حكيم معتدل الاطوار نشأ في احدى بلاد الكفار هو أرنولد جوزيف توينبي وقد ولد عام ١٨٨٩ وتوفي في أواخر عام ١٩٧٥ من أسرة انجليزية متوسطة الحال ماديا . تعلم في جامعة أكسفورد فدرس التاريخ متأثرا بأمه التي كانت تحمل شهادة جامعية فيه ، ثم درس في أكسفورد ذاتها وأرسل في بعثة الى بلاد اليونان فأطلع على حديثها اطلاعه على قديمها ، وعين بعدئذ في كراس جامعية عديدة لتدريس التاريخ القديم والبيزنطي ، ثم أصبح مديرا لمعهد شاتام فأجرى مسحا شاملا للشؤون الدولية . وقد ابتدأ يفكر منذ العشرينات بوضع دراسة موسعة للتاريخ وشرع ينفذها منذ بداية الثلاثينات واستمر ظهور اجزائها حتى بداية الستينات وقد أعطاها عنوان (دراسة للتاريخ) ونشرها في اثني عشر مجلدا وقد لخصها أحد الباحثين وهو سمرفيلد في أربعة مجلدات نقلت الى لغة العرب كما لخصها توينبي نفسه وان كان تلخيصه لم يترجم بعد . وله كتب اخرى عديدة مثل (الحضارة في الميزان) وكتاب (العالم والغرب) ومجموعات من المقالات والمحاضرات ... ولقد اتقن اللغتين الكلاسيكيتين اليونانية والرومانية حتى قال الشعر بهما ، وتعلم الفرنسية والالمانية والايطالية وألم بالتركية والعربية. وقد ساح هذا الرجل في البلاد الى جانب سياحته في الكتب وكانت له في الحربين العالميتين كانت له مهام بوزارة الخارجية البريطانية وشهد مؤتمري الصلح مما حمله على التصريح بأنه قد وقف عن كثب على كيفية طبخ القرارات السياسية واقتسام البلدان والشعوب من قبل الدول الكبرى وصار يرثي لحال المؤرخين الذين يقفون عند الظاهر دون أن يعرفوا ما يجري في الباطن . وله خصوم وأصدقاء وقد تأثر بقوم وأثر في اخرين وسوف أعرض أهم آرائه تباعا. وهنا أدركها الصباح فانتهت الليلة الاولى وكانت

ليلة التعريف .

وفي الليلة الثانية قالت شهرزاد روى هـــذا الحكيم أن تقديرات الباحثين لعمر النوع الانساني تتراوح بين المائة ألف وبين المليون من الاعــوام ولا بأس عنده في أن يقدر عمره بنصف مليون عاما وهو يعني الانسان الحالي الذي هو الانسان العارف ، ومنذ نشوئه حتـى الآن لم تتقـدم قواه الذاتيـة الجسمية والروحية اذ لا تبدو عليه سمات تطـور بيولوجي جدير بالذكر ، وانما الذي يتطـور هـو خبرته ووسائل انتاجه ومنتوجاته المادية والفكرية . ولقد أمضى الانسان اكثر عمره في العصر الحجـري القـديم ثـم جـاء العصـر الحجـري الحديث ، وبدأت الجموديات تنسحب عن سـطح الكرة الارضية وتتمركز حول القطبين ، ومنذ عشره آلاف سنة كان الناس يعيشون مرتاحين ، فحاجاتهم محدودة موجودة وقطوف أرضهم دانية يستطيعون ان يجمعوا الثمـار وأن يقطفوها والحيـوان قريب المتناول فهم يأكلون منه لحما طريا وطالما لم تكـن مشكلات ولم تكن ضائقة فالناس سعداء هانئـون ولكنهم غير متقدمين ولا حضاريين . وفي تلك الأيام لم تكن البشر في حاجة الى انشاء الدول والممالـك وتجنيد الجيوش واقامة الحصون واختراع الادوات المعقدة والوسائل المتعددة فهم مـرتاحون وأراحـة هناء ولكنها لا تحمل على التقدم . وبهذا انتهت الليلة الثانية وكانت ليلة الاجـداد .

وفي الليلة الثالثة قالت شهرزاد اذن منذ حوالي عشرة آلاف من السنين بدأ الجفاف يغزو بعض بقاع الارض ، وظل الشماليون الاوربيون ناعمين بغاباتهم ونباتاتهم التي لم يحركوا يدا لايجادهـا ، ولكـن المشكلة كانت عند الآسيويين والافريقيين الشماليين القريبين من آسيا الذين كانوا عاما بعد عام يشاهدون الجفاف يزحف على أرضهم التي تقل خيراتها باطراد فاحتاروا في امرهم وبدأوا يحاولون الخلاص ، وبما أن الماء قد تركز في الواحات والينابيع فقد تمركزوا حولها وظهرت الزراعة وكانت المجتمعات الزراعية في أول الامر لا تختلف عن المجتمعـات البدائيـة لان الزراعة كانت على نبع او في واحة فهي لا تستطيع الا ان تنشيء قرية او مدينة صغيرة ولعل أقدم مدينه في العالم كانت مدينة أريحا الفلسطينية التي قامت منذ ثمانية آلاف سنة قبل الميلاد . وقد ظلت الاحـوال المناخية تتردى في السهل الافراسي والسهل الاوراسي أي في المناطق الواقعة بين افريقيا وآسيا من ناحيـة وبين أوربا وآسيا من ناحية أخرى حتى وجد البشر أنفسهم هنالك امام مشكلة كبيرة فاما الانقراض واما الحلول الجديدة وقـد انقرض بعض وظفـر بعض بالحلول الجديدة التي حالف التوفيق قسما منهـا بصورة جزئية فحافظ أصحابها على بقائهـم وحالف التوفيق قسما منها بشكل كلي فحافظ أصحابها على بقائهـم واسـتمروا في التقـدم وبهؤلاء ابتـدأت الحضارة . ولا يستبعد صاحبنا أن تكون البدايـة عند السومريين في أواخر الالف الرابع قبل الميـلاد وأنشأ المصريون القدماء حضارتهم بعد سومر ببرهة وجيزة وفي الفتـرة نفسهـا تقريبا قامت الحضـارة المينوية ثم السندية الهندية أو الهندية القديمة كمـا نشأت الحضارة الصينية وهو يسمي هذه الحضارات الاولى بالحضارات الاصيلة . وبعد اندثـار بعض هذه الحضارات من الجيل الاول أخذت حضارات الجيل الثاني بالظهور وهي حضارات منتمية متأثـرة بسـوابقها ومثالهـا الحضارة الهيلينية (اليونانيـة الرومانية) ، والفارسية والسورية التي تمتد فـي مجال الهلال الخصيب ، والحضارة البابلية .. وقـد تبعت هذه الحضارات او اكثرها فأخذت حضارات الجيل الثالث في الظهور كالمسيحية الغربية والمسيحية الشرقية والاسلامية وخلال ذلك كانت الامور تتطور في الهند حتى قامت الحضارة الهندوكية وتطـورت الحضارة الصينية فأصبحت تتبع الديانة البوذيـة الماهايانية وخلال هذه الاحقاب كان العالم الجديـد مكتوما ينشيء الحضارات كالحضارة المكسيكيـة والبيروفية .. وتسألني يامالك الزمان عن عـدد

الحضارات التي صنعها الانسان فأجيبك بانها ١٩ حضارة اذا ما اقتصرنا على الاساسيات وتصبح اكثر اذا ما عددنا بعض الفروع وأضفناها الى الاصول او اذا اضفنا الى القائمة الحضارات غير التامة النمو. والحضارات هي التي يفسر التاريخ على أساسها فالامة او القومية لا تكفي وحدها لتفسير التاريخ فاذا ما أخذت انكلترة مثلا فان تفسير صفاتها واحوالها ومبادئها ونظمها وتقاليدها لا يمكن بالاعتماد على تاريخ الشعب الانكليزي وحده بل يجب أن يربط بمجال أوسع منه هو مجال الحضارة المسيحية الغربية ، والعرب لا يفهمون من خلال دراستهم وحدهم فقط وانما يفهمون اذا ربطناهم بالحضارة الاوسع وهي الحضارة الاسلامية التي ينتسبون اليها ، وليس معنى هذا ان الشعوب لاقيمة لها فالشعب يستطيع ان يتحرك ضمن حضارته وقد يكون طليعتها وقد يأتي في المؤخرة وقد يكون في الوسط فالمهم أنه جزء من مجموعة كبيرة حتى ان هذا الحكيم يعرف الحضارة بأنها أصغر وحدة ممكنة للتاريخ أو هي المجموعة البشرية التي نصل اليها عندما نريد تفسير أحوال شعب من الشعوب او منطقة من المناطق. فكيف نشأت هذه الظاهرة ظاهرة الحضارات وكيف تقدم الانسان وارتقى فوق المجتمعات البدائية المرتاحة ؟ لا يقبل توينبي تفسير نشوء الحضارات بالاعراق والسلالات فعنده ان اكثر السلالات والعروق قد أنتجت الحضارات. وهو لا يقبل أن يعيد الحضارات الى تقدم بيولوجي عضوي اصاب تكوين الكائن الحي الانساني فان التطور البيولوجي لهذا الكائن قد توقف ظهور آثاره منذ مدة طويلة. ولا يقبل التعليل بالبيئة الجغرافية وحدها فهي لا تصنع الحضارة آليا واذا كانت الحضارات قد قامت في بيئة السهل او الجبل او الغابة او النهر او البحر او الهضبة فانها لم تقم في كل السهول ولا كل الجبال او الغابات او الانهار او الهضاب. فكيف اذن نشأت الحضارات ؟ عند هذا السؤال أدرك شهرزاد الصباح فانتهت ليلة التعداد.

وفي الليلة الرابعة قالت شهرزاد لقد تساءلنا عن سبب قيام الحضارات وأجيبك يا مولاي بأنه التحدي والاستجابة. ان الانسان مكون بحيث لا ينتج انتاجا باهرا الا اذا حرض ولا يحرض الا اذا قام في وجهه تحد ما ، وقد يكون التحدي طبيعيا جغرافيا كجفاف الارض او انغمارها بالمياه او خلوها من الخيرات ، وقد يكون تحديا من البيئة البشرية كعدواة أو غزوا أو محاولة اجتياح. هذه التحديات هي التي تحرض الانسان وتدفعه الى التفكير واعمال الذهن حتى يجد الحل فينطلق في ميدان الحضارة. واذا كانت التحديات عديدة فان تلك الداعية الى انشاء الحضارة تتميز بصفات معينة فهي تحديات صعبة ولكنها ليست صعبة الى الدرجة التي تجعلها تسحق الانسان وتقضي على محاولاته فكثيرا ماقضت التحديات المتجاوزة حد المعقول على النهضات الناشئة ، والتحديات المفيدة قابلة للحل على يد الانسان وبحسب مواهبه ، وان التحدي المثالي هو الذي لا يدفع الجماعة الى ان تجد الحل فقط وانما يهبها دفقة حيوية حسب المصطلح البرغسوني فاذا بها تندفع حتى تجد الحلول للمشكلات المقبلة التي ستطرأ بسبب الحضارة ذاتها وهكذا تحيا الحضارة وتستمر ، هذا وان أنواع التحديات التي ساعدت على قيام الحضارات وتطويرها عديدة كتحدي الجفاف والاضطهاد والعدوان والضربات ، وما ينطبق على الجماعات ينطبق على الافراد فالنقم قد تجعل الاقليات المعذبة باهرة المواهب كما قد تجعل الفرد ذا العاهة جبارا فقد روت الاساطير ان الاعرج القديم كان صانعا لادوات القتال وكان الشاعر القديم أعمى كما اشتهرت الاقليات بأمور كثيرة من خير وشر كالارمن واليهود والبارسيين بقايا الزرادشتيين ولقد جعل الاضطهاد اليونان الفناريين تحت اللواء العثماني يتفوقون عمليا واداريا حتى كادوا يتسلمون الزمام لولا أنهم تعجلوا فعاجلتهم السلطنة وسحقت تمردهم ، ولامر ما نجد ان مناطق الحدود تتولى قيادة الامة او قيادة الحضارة بأجمعها ، فالحضارة المسيحية الغربية كانت تنتقل قيادتها بحسب النوافذ التي يثب الغزو اليها منها فتارة كانت على حدودها الشرقية

وأخرى على حدودها الشمالية وثالثة على حدودها الجنوبية حينما كانت تواجه تحدي حضارة الاسلام. وان الاستجابات واستمرار الاستجابات هي الحضارات . وان التحدي الذي واجه مؤسسي الحضارات الاصيلة او حضارات الجيل الاول كان تحدي الجفاف فأما الذين بقوا في أماكنهم الجافة فقد انقرضوا اولم يجدوا الا خيرا قليلا والذين هاجروا طلبا للغابات والمياه تابعوا حياتهم البدائية المريحة غير الحضارية وأما الذين انتقلوا الى بقاع لا تشبه بقاعهم السابقة وابتكروا أساليب حياة جديدة فهم الذين كتب لهم أن يؤسسوا الحضارات باقامةالزراعةالمروية من مياه الانهار الكبيرة كما هو الحال في بلاد ما بين النهرين والنيل ثم السند والصين أو بانشاء الحضارة البحرية كما فعل المينويون . وعندما ظهرت هذه الحضارات قامت دول أو قامت تنظيمات من أجل رعاية شؤون الري وترتيبها في حضارات الانهار ومن عجيب الانسان أن أشكال الدولة التي قامت يومئذ ما زالت باقية فالحضارة المصرية القديمة عرفت الدولة الشاملة المهيمنة التي تؤثر النظام والسلام،والحضارة السومرية عرفت الدول المبعثرة التي تؤثر الحرية على النظام والسلام واننا نجد حتى اليوم تباينا بين نموذجين من الدول نموذج يميل الى النظام والاستقرار والشمول وآخر يؤثر الحرية وان كان فيها بعض الاضطراب . وهنا ادرك شهرزاد الصباح فانتهت الليلة الرابعة وكانت ليلة الايقاد .

وفي الليلة الخامسة سئلت شهرزاد « وهل كل تحد معقول ينتج استجابة حضارية » فاجابت لا ولطالما هدرت محاولات وضاعت شعوب واستجابات فتقول لها أختها « اذن هل تستطيعين أن تزيدينا ايضاحا للشروط التي تجعل الاستجابة الحضارية ممكنة . فتجيب بأن الهجرة من أهم الشروط لان من يقم في مكانه يحمل فوق ظهره تقاليده وهي قيود ويتقيد بالنظم والادوات السائدة ، وأما الذي يهاجر فهو يتخفف من الرواسب والمكتسبات السابقة الضاغطة فيبدع وينتج الجديد ، ولعل الهجرات البحرية اكثر تخفيفا عن الانسان من الهجرات البرية. فتسألها دنيازاد متخابثة « وهل تضمنين لي اذا ما هجرتكم أن ابدع ؟ فترد شهرزاد لا فان من شروط الابداع العزلة فضمن المجتمع الذي يعاني من المشكلة يوجد فرد او جماعة تهمها القضية فيعتزل العبقري أو يبتعد لا من أجل أن يلقي العبء عن كاهله وانما من أجل ان يفكر و ان يتمخض فيعود الى قومه بعد مدة وفي يده النور الجديد ، انظري الى اصحاب الديانات تجديهم قد انعزلوا في الصحاري أو الغيران او الصوامع ثم عادوا الى قومهم بالديانات واكثر المصلحين ورجال الفكر نلقى عندهم هذه العزلة المجدية الخصبة وان النبات يعتزل هذه العزلة قبل ان ينجم وأن اسطورة الكهف الافلاطونية قد انتبهت الى هذه الناحية اذ يبتعد فيها احد الاسرى عن اخوانه ثم يعود منبئا بالحقيقة وقد انتبهت الاساطير اليونانية الدينية الى هذه الامور . فتستزيدها أختها « وهل اذا ما اعتزلت أضمن ان ابدع ؟ فتجيبها شهرزاد يبقى الابداع يا اختاه سرا تعجز قواي وقوى حكيم هذه الليالي ؟عن ادراك كنهه ورسم الطريق الموصلة اليه بدقة ولو أننا حللنا مشكلة الابداع لتمكنا من حل سائر المشكلات لان كل حل ابداع . وكأن الجهاز الانساني المبدع جهاز غريب الصنع نقف امامه ونحاول تحريكه وبعد مدة اذا به يتحرك دون ان نعرف اية محاولة هي التي أحيته وفي مرة اخرى تتكرر محاولاتنا دون ان يدور فنوشك ان نتركه واذا به يعمل ، وفي مرة ثالثة قد نحاول حتى نيئس حقا ونغادره جامدا فما ان نبتعد عنه حتى نسمع صوته وقد دار . ان الابداع سر ، واذا ما بقي في هذا العالم سر فسيكون الابداع وهو جوهر الحضارة والتقدم . وهكذا انتهت الليلة الخامسة وكانت الليلة الليلاء على الرغم من صفائها .

وفي الليلة السادسة قالت شهرزاد الا ان حياة

الابداع تكون بالمحاكاة وهي اما ان تكون على شكل اتصال روحي صوفي وتمثل لافكار المبدع وتقبل داخلي لما أتى به وهذا شأن القلة التي تحيط بالمبدع وأما الحال الاوسع حال الشعوب فهي المحاكاة القائمة على التدريب والتعويد والتقليد ، وليس من بأس على الناس أن يقلدوا الصالح والمبدع لخيرهم اذا عجزوا عن فهم ما يريد فهما تاما وعلى ان يرتفعوا الى مستواه ولكن هذه المحاكاة القائمة على التقليد اذا كانت تنشر الحضارة وتعممها فانها بداية بلائها كما سيأتي في الليالي المقبلة • وهكذا بالتمثل والتدريب تنتشر الحضارة وتعم ويشتد عودها وترتقي ، وما هي علامة ارتقائها ؟ هو التوسع الجغرافي ؟ لا ، بل ان التوسع الجغرافي كثيرا ما يقترن بضعف الحضارة وهزالها فلقد ضعفت الحضارة الهيلينية عندما نشرها الاسكندر في بقاع واسعة من الارض كما ضعف سواها بهذا الانتشار وكما تضعف الحضارة المسيحية الغربية الان وتفقد الكثير من جوهرها بانتشارها الموسع فهل علامة الرقي هو التقدم التقني ؟ والجواب ايضا لا ، فكثيرا ما يقترن خمود الحضارات بالتقدم التقني وكثيرا ما تصعد الحضارات دون أن يرافق ذلك تطور في الادوات وفي وسائل الانتاج فالتقدم التقني تقدم الوسيلة وهو مفيد بلا شك ان أحسن الانسان استخدامه الا أنه ليس العلامة الجوهرية لانه ليس الغاية • فما هي علامة تقدم الحضارة اذن ؟ انها زيادة الحرية في تقرير المصير انها تزايد قدرة الانسان على حكم مصيره بدلا من ان يكون محجوبا من قبل القوى الخارجية ، وكلما تقدمت الحضارة اصبحت الامور اكثر أنسية حيث يقل خطر العنصر الكوني ويزداد أثر العنصر الانساني حتى ان الالات تزداد (اثيرية) وروحانية بازدياد خضوعها لنبل الانسان وجماليته اكثر من السابق • يجب الا نتساق وراء المظهر والشكل وقد اعتاد المؤرخون ان يقفوا عند الظاهر والظاهر بارز محدد تمكن الاشارة اليه بسهولة فيقولون العصر الحجري والنحاسي والبرونزي والحديدي والكهربائي والذري ولكن ليست هذه الا ظواهر تخفي الباطن الذي هو تمكن الانسان اكثر فأكثر من ان يقرر مصيره بنفسه ومن ان ينجو من تأثير العوامل الاخرى وكلما تقدمت الحضارة ضعف تأثير العوامل الخارجية وانتبهت الحضارة الى شؤونها الداخلية والى تكوين شخصيتها فنا وعلما وأخلاقا ودينا •• وبهذا انتهت ليلة الاشتداد •

وفي الليلة السابعة قالت شهرزاد الا أن حظ الانسان ليس بالحظ السعيد دائما فبعد اشتداد الحضارة وارتقائها نموها غالبا ما تصاب بالضعف والانهيار ، والسبب الاساسي في ذلك هو ضعف القدرة على الابداع عند الاقلية القائدة، فكل حضارة تقودها أقلية من الناحية الثقافية والسياسية والاجتماعية على حد سواء وهذه الاقلية تكون في مرحلة الظهور والنمو أقلية مبدعة تقدم لابناء حضارتها حلول المشكلات وما تكاد تنتهي من مشكلة حتى تواجه اخرى بحل جديد وهكذا ، فاذا ما خمدت جذوة تلك الاقلية المبدعة واستمرأت السيطرة على المجتمع او الحضارة تنقلب الى اقلية مسيطرة مستبدة بدلا من ان تكون متبعة بحرية الناس ومحبتهم واعجابهم ، وما الذي يجعل تلك الاقلية تفقد قدرتها على الابداع وعلى تحقيق الاستجابات الجديدة المتوالية ؟ انه امور جديدة اهمها الاستكانة الى ما انتجت في الماضي . فكل ما انتج الانسان من مفيد يمكن ان يكون قيدا انه مفيد اذا ما استخدم لحل المشكلة التي وضع لحلها وانه عائق اذا ما عاش اكثر من وقته وبقي اكثر من زمنه ووجهت به مشكلات لم يوضع لحلها اصلا ولا يصلح لهذا الحل ، وهكذا تصب الخمر الجديدة في الزقاق القديمة التي يطلب منها ان تتسع قليلا قليلا لتستوعب تلك الخمر ولكنها ما تلبث ان تتمزق • ونشعر بانهيار الحضارة عندما تكثر اضطراباتها والخلافات بين القادة والشعوب وعندما تقف القيادات حائرة ليس امامها الا الحلول السابقة التي اعتادت عليها سواء في الحرب ام في السياسة ام في العلاقات الاجتماعية فتظهر على الحضارات امارات الخواء وتشتد المتاعب ويزيد الطين بلة انتشار الروح الحربية وهي انتحار للحضارات • لقد نشأت الحرب مع نشوء الحضارة وأفظع ما فيها أنها تعد الناس كي يقتلوا الناس وان الثوب العسكري

ثوب غريب عن الثياب العادية لانه اشارة الى تحلل لابسه من تقدير الروح الانسانية والامتناع عن ازهاقها انه اشارة السماح بالقتل ، وقد تكون الحرب مقبولة في حال الدفاع ولكنها تصبح انتحارا اذا ما صارت غاية وعادة ، والحضارات في ابان انهيارها تزداد حروبها الخارجية والداخلية اي بين ابنائها ومريديها ، وهكذا اراد أغسطس أن تستريح الامبراطورية الرومانية والحضارة الهيلينية ولكنهما لم تستريحا لان خلفاءه اخذتهم نشوة الظفر فتابعوا الحرب حتى لم يكتفوا بتدمير جيرانهم بل دمروا حضاراتهم ، وقد اراد محمد الفاتح العثماني ان تقف دولته عند حدود القسطنطينية التي افتتحها ولكن خلفاءه تابعوا الحرب فتتابعت الروح الحربية • بجفاف القدرة على الابداع في الاقلية وبالجمود على الحلول السابقة الجاهزة وبغلبة الروح الحربية التي تجعل الحرب غاية تدخل الحضارة مرحلة الانهيار • وهكذا انتهت ليلة الذبول •

وفي الليلة الثامنة قالت شهرزاد ولا يقف الامر عند هذا الحد وانما يتبع الانهيار انحلال • والانحلال هو نهاية الحضارات وفي هذه المرحلة تظل الظواهر السابقة من جفاف الابداع والاستكانة الى الحلول الجاهزة وانتشار الروح الحربية وتنضاف اليها ظواهر اخرى اشد عمقا واثرا منها انقسام شديد بين أجزاء الحضارة رأسيا وأفقيا بين مناطق الحضارة حيث تشتد الحروب وبين طبقاتها حيث يحتد الصراع وتتضح للعيان ظاهرة يكررها توينبي كثيرا وهي ظاهرة البروليتاريا الداخلية والبروليتاريا الخارجية ، وكلمة البروليتاريا كلمة قديمة استخدمها الباحثون بمعان كثيرة من أشهرها المعنى الماركسي للبروليتاريا بانها القوم الذين لا يملكون الا قوة عملهم الجسمية، واما توينبي فانه يستخدم اصطلاح البروليتاريا بمعنى

المحرومين او الممنوعين من النعمة في كل حضارة من الحضارات ولاي سبب من الاسباب سواء اكان طبقيا ام عرقيا ام دينيا • والبروليتاريا نوعان داخلية وخارجية ، اما الداخلية فانها تعيش في المنطقة التي سيطرت عليها الحضارة وتعاني منها ما تعاني ، واما البروليتاريا الخارجيةفانها غالبا ماتكونشعوبا بربرية تعيش على حدود تلك الحضارة وتعجب وتتأثر بها وتغار منها فيآن واحد• وتكونالبروليتاريا الداخلية

مقموعة في اول الامر ولكن في مرحلة الاضطرابات التي تحدثعند الانهيار يشتد عزمها لتواجه الحضارة مواجهتين ، مواجهة عنيفة بالثورات والاصطدامات ومواجهة عميقة بتقديم الديانات والمذاهب الجديدة وبثها في تلك الحضارة • واما البروليتاريا الخارجية فان الحضارة تستطيع ان تغلبها في اول الامر ولكن ارتخاء تلك الحضارة السائدة يسمح لتلكالبروليتاريا الخارجية أن تتحرك حركة اكثر جدوى فاذا بها تهاجم الحضارة السائدة وتهاجمها حتى تدمرها او تحتلها ، ومن قواعد حكيمنا ان الحدود اذا ثبتت بين الحضارة وبين البربرية فالزمن عندئذ يعمل لصالح البربرية • ولكن اصحاب الحضارة لا يرضون لها أن تندثر فيحاولون انقاذها والمحاولة التقليدية لانقاذ الحضارة المنحلة هي اقامة دولة عالمية بالقوة ، دولة شاملة تجمع شتاتها واجزاءها فتعمرها بالسلم ولو كانت السلم ظاهرية وتعيد اليها بعض الاستقرار ويحسب الناس انهم قد خلفوا وراءهم أيام المتاعب • هذه الحكومة العالمية عرفتها الحضارة الهيلينية مثلا على يد أغسطس وخلفائه عندما جمع شتاتها ، وعرفتها الحضارة الفارسية أيام الامبراطورية الاخيمانية ، وعرفتها الحضارة الصينية كما عرفتها الهندية والاسلامية ، ان اغلب الحضارات عرفت الحكومة العالمية الشاملة وعالميتها هي بالنسبة الى حضارتها فقط • وعند قيام الحكومات العالمية ينصب الاهتمام ببعض الامور المعينة على الربط والاستقرار كتوحيد النقود والقوانين والعناية بالدواوين وجهاز الموظفين وتنظيم مختلف المظاهر وهكذا يبدو المجتمع وكأنه قد استعاد شبابه وقد تقوى تقنيته وادواته ، ولكننا اذا ما تفحصنا جلية الامر نجد الصبا تصابيا فوراء التحسن الظاهري تكمن نفسية قد نخرها

الانحلال وراءها نفوس قد انطفأت جذوتها وفقدت روحانيتها ، والحكومة العالمية قد تتمكن من اطالة عمر الحضارة ولكن الى فترة من الزمن فقط • هذا ومن علامات الانحلال ان الناس لا يحسنون التفكير في الواقع او التفاعل معه التفاعل الواجب فيلتفتون بأبصارهم الى الماضي الذهبي مع النزعة السلفية او يتعجلون مستقبلا متخيلا مع النزعة المستقبلية . وقد يرخون العنان لغرائزهم وشهواتهم اويضبطون نفوسهم اكثر مما ينبغي ، وتنشأ في هذه المرحلة فلسفات ولكنها فلسفات انتقائية تحاول مداراة الامور وترقيعها ، وقد يظهر شيء من التعاون اثناء فترة

الحكومة العالمية ولكن بدون روح • ومن اهم اسباب الحكم بالاعدام على الحكومات العالمية انها تقوم على القوة فالمخلص الذي امتشق الحسام يحاول اغماده فلا يستطيع وتستمر الحروب حتى تنهك الحضارة ومع انهاكها تزداد ذبولا وقد تنحل في حضارة اخرى وقد تندثر اندثارا تاما وقد تتحجر فالحضارة المصرية القديمة وصلت الى مرحلة الانحلال في الالف الثالث قبل الميلاد ولكنها مع ذلك ظلت تحيا ، ظلت تحيا كصنم كبير لا يقدم شيئا جديدا ، وتسمى الحضارة عندئذ بالمتعطلة وقد ظلت المصرية القديمة متعطلة على هذا الشكل الى القرن الخامس الميلادي فالحضارة المتعطلة او المتحجرة قد تعيش بعد انحلالها عمرا طويلا خاويا • واليهود في نظر توينبي من بقايا حضارة سورية قديمة متحجرة • وان اغلب الحضارات التي صنعها البشر هنا وهناك قد اضمحلت عدا حضارات ما زالت تعيش حتى الان وهي المسيحية الغربية والمسيحية الشرقية والاسلامية والهندية والهندوكية والصينية وان الاربع منها قد عرفت الحكومات العالمية فهي مهددة بالذوال • وادرك شهرزاد الصباح فأنهت ليلة الانطفاء •

وفي الليلة التاسعة اعلنت شهرزاد انها منتقلة نقلة خفيفة الى موضوع يتصل بالحضارات ويعده في فترة صعودهم ونشوة ظفرهم ولكنهم يعودون

اليها ويحاولون الاغتراف منها اذا ما احسوا بالمتاعب والازمات • كانت البداية بعبادة قوى الطبيعة التي رآها الانسان الاول اقوى منه وايقن انه عاجز عن تكييفها الا بارضائها وعندما قامت الحضارات شعر الانسان بقوته فعبد اجداده او عبد القوى البشرية أي عبد ذاته فقد وثق من نفسه ومن قدرته على تسخير الطبيعة • ولكن الحضارات الاولى اخذت في الانهيار مخلفة لدى الانسان الشعور بأن المنتجات البشرية ليست خالدة وأنها قابلة للزوال فيومئذ بدأ يكتشف ربه فيتجه نحو الديانات الموحدة ، وقد اكتشف اخناتون الاله الواحد ولكن حركته العنيفة فشلت

ثم أعاد اليهود وهم قسم من الحضارة السورية القديمة اكتشاف التوحيد وتتابعت الديانات • ويعتقد توينبي ان الديانات الكبرى اليوم اربع وهي المسيحية والاسلام والبوذية الماهايانية والهندوكية ويعلق املا كبيرا على تفاهمها وعلى تعاونها بحيث تسد الفراغ الروحي الذي نشأ في حياة الانسان الحديثة وان حل ازمة انسان اليوم هو في يد الديانات اكثر مما هو في يد الحضارات • وهو مهتم ــ أي توينبي ــ بروح الديانات المتمثلة في المحبة والتطالع الى القوى العليا التي يعد جميع الديانات استطلاعات عنها ، ومهما احب المرء ديانته واعتبرها افضل الديانات فعليه ان يقدر سائر الديانات ويبرأ من التعصب فكل دين هو بحث عن الاله عن جوهر الوجود ومعينه • وهنا يهز شهريار الملك رأسه ويقول ياليت ياشهرزاد ، يا ليت ان الانسان ما يزال يتأثر بالدين اكثر من المصالح الدنيوية فهل هذا صحيح واغلب ظن جلالتنا أن الامل بحل ديني لازمة الانسان المعاصر لا يؤيده مجرى الاحداث حتى الان •• وهكذا انتهت الليلة التاسعة وكانت ليلة العباد •

وفي الليلة العاشرة تقول شهرزاد فلنتقدم نحو بدايات العصر الحديث الذي يهمنا اكثر من سواه ، ها نحن ايام انتهاء الحضارة الهيلينية وكانت الحضارة السورية أيضا قد ذوت بما حوت من فينيقيين وعبرانيين

وآراميين وأشباههم وكانت الحضارة الفارسية تسير في طريق الانطفاء وانطفأت من قبلها الحضارة البابلية فحصل فراغ حضاري في منطقة كبيرة من العالم وبدأ تكون حضارات جديدة منطلقة من الديانات فهي الروابط المحركة التي تنقل المجتمعات من حال (الين) الساكن الخامد الى حال (اليانغ) المتحرك المتوثب . وقد افرزت البروليتاريا الداخلية الخاضعة للحضارة الهيلينية ـ وكانت تعيش في سورية ـ افرزت الديانة المسيحية التي تلقتها الشعوب الاوربية وسكان مركز الحضارة الهيلينية فلم تستطع سورية ان تنقذ بها نفسها من سلطان الغرب فردت عليه بردود فعل اخرى منها النسطورية والمينوفستية وحاولت احياء اليهودية

والزرادشتية ولكن عبثا اذ لم تستطع الحضارة السورية ان تقاوم بهذه المحاولات غزو الحضارة الهيلينية لها وان كانت حضارة ميتة ومن غزو المسيحية الغربية التي ورثت الهيلينية . ثم ظهر الاسلام، حملته بروليتاريا داخلية بالنسبة الى المجتمع السوري ، فالعرب جزء من الحضارة السورية القديمة وكانوا يشكلون بروليتاريا مقصاة عن ذلك المجتمع ومحرومة من نعيمه ومتخففة من كثير من قيوده وتقاليده فاستطاعوا ان يحملوا الدين الجديد الذي سرعان ما انفتح له عقل المجتمع السوري وقلبه واذا به ينتشر انتشار النار في الهشيم وتقوم الحضارة الاسلامية . وقد انقسمت الحضارة المسيحية الى قسمين هما المسيحية الغربية والمسيحية الشرقية ، ثم انقسمت الحضارة الاسلامية ايضا الى قسمين أو فرعين فرع غربي عربي وفرع شرقي ايراني او اعجمي واذا كانت الحضارة الاسلامية قد ابتدأت بالفرع العربي الغربي فان الفرع الشرقي ما لبث ان تغلب ، على عكس ما جرى للحضارة المسيحية التي تغلب فرعها الغربي على فرعها الشرقي .. وهكذا انتهى الفراغ الحضاري بظهور الجيل الثالث التي لم تزل باقية.وهكذا انتهت الليلة العاشرة وكانت ليلة رجعة الميلاد .

وفي الليلة الحادية عشرة قالت شهرزاد اذا قبلت اوربا المسيحية دينا مع أنها لم تنشأ اوربية وانها نشأت شرقية سورية واستمد العالم الاوربي أفكاره الاساسية من المسيحية كالايمان بالاله الواحد والمساواة بين الرجال والنساء والاخاء بين مختلف العناصر والشعوب الى جانب وحدانية الزواج والمحبة ... وبدأت في الاكتمال حضارة مسيحية الا انها مالبثت ان انشقت كما اوردت في الليلة السابقة الى مسيحية غربية عمت فرنسا والمانيا وانكلترة واسبانيا والبرتغال وبلجيكا وايطاليا ثم الدول الاسكندنافية وايرلنده أي بوجه العموم جميع بقاع مايسمى عادة باسم اوربا الغربية ثم امتدادها الامريكي ... والى مسيحية شرقية كانت في الاصل حول بيزنطة وبلاد اليونان ثم انتقلت الى البلاد الروسية وقد ظل جناحها الروسي مستقلا على حين خضع المركز البيزنطي اليوناني للوحدة التي فرضتها عليه السلطنة العثمانية . وقد تطور الفرع المسيحي الغربي حسب منهج الحرية لان الديانة المسيحية كما فهمها الغرب فصلت بين الكنيسة والدولة فابقت الكنيسة غير خاضعة للدولة ولها نشاطها الخاص وان تعاونتا ، لا الدولة تنظر الى الكنيسة كمؤسسة من مؤسساتها ولا الكنيسة تقيد حرية التصرف في الشؤون الدنيوية وهذا ما حفظ للدينيين والدنيويين القدرة على العبادة الحرة مما ادى الى شيوع الدعوة للحريات كالحرية الاقتصادية والسياسية . وقد تقدم المجتمع الغربي على يد طلائع عديدة فكانت طلائعه تارة فرنسية وأخرى ايطالية او انكليزية او اسبانية بحسب التحديات وبحسب الظروف التي عاشتها شعوبه . واستطاع المجتمع الغربي ان يطور العلم والتقنية تطويرا واسعا فاتصف بالصناعة كما طور الانظمة البرلمانية فعمل الحكومة تابع للشعب وكانت الطبقة البرجوازية هي الطبقة الفعالة في مختلف ابعاد الحضارة الغربية . وتقف الحضارة المسيحية الغربية اليوم على قمة الحضارات ، انها الحضارة المتقدمة

أكثر من سواها وهي تسبب أزمة داخلية وخارجية لسائر الحضارات الباقية • ولكنها كما يبدو قد أخذت تتجاوز مرحلة النمو والارتقاء وتدخل مرحلة الانهيار فقد ازدادت حروبها كما انها قد بدأت تجمد أحيانا فالنظام البرلماني القائم على تمثيل المناطق لم يعد كافيا في عصر المهن والاعمال • ومما يساعدها على البقاء أنه لم يعد هناك من بروليتاريا خارجية متوحشة تناحرها وتحاول القضاء عليها ، كما أن مشكلات البروليتاريا الداخلية المتمثلة في الطبقة العاملة بشكل خاص قد بدأت بحلها عن طريق التأمينات الاجتماعية والمؤسسات الاشتراكية • ولا

تعدم هذه الحضارة مع ذلك مصادر أخرى للمتاعب كاتصافها بضيق الافق فهي حضارة مغرورة وتحسب أنها الشعب المختار متناسية أن هذه اسطورة كل حضارة سبقتها وأنها ليست الا احدى الحضارات وأنها كما تؤثر في سواها فقد تأثرت بغيرها واقتبست وأنها ليست بالكلمة الاولى ولا الاخيرة في التاريخ• ونظرا لان المسيحية الغربية قد تفوقت على الشرقية فقد عانى المتخلف من المتقدم فما أكثر ما اجتاح الغربيون أقساما من بلاد الشرقيين • وابتدأ الصراع بين الاسلامية والغربية وهذه في الموقف الاضعف ولكنها ما لبثت أن اشتدت فاذا بها تسيطر عسكريا وسياسيا على العديد من البقاع الاسلامية كما حكمت منطقة الحضارة الهندية وغمزت قناة الصينية وأنهت وجود الحضارات الامريكية على الاكتشاف الاوربي • وهي مع تقدمها اليوم تعاني من ضعف نواتها الاوربية بالقياس الى امتدادها الامريكي والى المجتمع المسيحي الشرقي في الاتحاد السوفييتي الذي قوى نفسه بالعقيدة الماركسية والتقنية الغربية ذاتها ، كما تعاني من الروح الحربية • وهكذا انتهت ليلة الناقوس الغربي •

وفي الليلة الثانية عشرة قالت شهرزاد سيكون حديثي الليلة عن شقيقة هذه الحضارة اللدودة وهي المسيحية الشرقية التي تمركزت في تركيا حول القسطنطينية وفي بلاد اليونان والروس • وقد نال المركز البيزنطي واليوناني لهذه الحضارة وحدته على يد العثمانيين المسلمين بعد سقوط الامبراطورية الرومانية الشرقية ، وظل الجناح الروسي خارج هذه الوحدة مستقل الارادة فعد نفسه بالتدريج الممثل الشرعي للمسيحية الشرقية ووريث الهيلينية • وقد تطورت الحضارة المسيحية الشرقية على أساس وحدة القيادة في المجتمع وخضوع الكنيسة بالتالي للدولة فالبطريرك تابع للقيصر وليس ندا له ولا مستقلا في مبادراته عنه وهذا ما اعطى الشرقية طابعا مخالفا للغربية اذ حلت طبقة الموظفين محل الطبقة الوسطى في قيادة المجتمع وأصبح التقدم يملي من الاعلى من الحاكم ولا ينبع من الشعب • وكانت هذه الحضارة على تناقض وعراك مع المسيحية الغربية واستطاعت

ان تحافظ عى نفسها تجاهها ولكن بعد لاي شديد وغالبا ما كانت شقيقتها هي التي تكيل لها الصفعات وتعتدي عليها وتقطتع من اراضيها • ولقد ادرك بطرس الاكبر انه لا يستطيع التغلب على الغرب الا بأن يقتبس تقنيته في شؤون الحرب بخاصة وفي شؤون السلم ، وكان واعيا بحيث يعرف أن التقنية لا تؤخذ ظاهريا فحسب وانما لا بد من تطوير العقلية والايدي المنتجة ايضا فبذل في سبيل ذلك جهدا كبيرا وكان رائدا لجميع الذين حاولوا أن ينافسوا الحضارة الغربية او ان يدافعوا عن انفسهم تجاهها عن طريق اقتباس تقنيتها وعلومها • نجح بطرس الاكبر جزئيا ولكن المسيحية الغربية ظلت تتقدم وتتفوق حتى عادت المسيحية الشرقية تخشى على نفسها منها واذا بها تفاجىء جارتها بنغمة جديدة وهي الماركسية فقد تبنتها على يد لينين واصحابه ، والماركسية بدعة غربية فواضعها غربي ولكنها تشكل ثورة على الغرب أو خروجا عن طريقه المعتادة • فالمسيحية الشرقية لانها لا تريد أن تستكين للغرب لم تقبل مذهبه السائد وانما قبلت المذهب المنشق المذهب الخارج عليه وهو المذهب الشيوعي ، وقد لاءمها هذا المذهب لانه يأخذ بتقنية الغرب ويشجع

عليها ويعيد تكوين الظروف بحيث يتقدم العلم ويتحقق السلم الداخلي وقد لاءمها هذاالمذهب ايضا لانه لم يمكنها من الدفاع عن نفسها فقط وانما مكنها من ان تأخذ وضع الهجوم على الحضارة الغربية ،

ليس الهجوم المادي وحده بل الهجوم المعنوي ايضا، انها اصبحت صاحبة مذهب تلوح به للمحرومين والبائسين والمنشقين على الغرب .
ليلتفوا حولها ويتعاونوا معها للتخلص من الحضارة الغربية • واذا كانت المسيحية الشرقية قد تغربت فهو تغرب ظاهري اذ ما زالت طبيعتها الاساسية قائمة وطبيعتها الاساسية هي ان الكنيسة تابعة للدولة والدولةحكومةمطلقة وكما كانت الكنيسةالأرثوذكسية في أيام القياصرة تابعة للكرملين فان الكنيسة الجديدة وهي الماركسية ودوائرها الفكرية والثقافية خاضعة ايضا للدولة المركزية المطلقة • فالحضارتان الغربية والشرقية موجودتان ومتنافستان وسوف يكشف المستقبل عن ثمرة هذا التنافس •

وهنا تسألها دنيازاد ـــ اليس عند حكيمك ما يضعف من الاعتقاد بوجود هاتين الحضارتين حتى الان ؟ ـــ

فتجيب شهرزاد ربما ، فهو يرى أن الغرب يتهرب من المسيحية باستمرار وان لم يستطع قطع حبل الحياة الذي يصله بها حتى الان ، ويرى أن الماركسية قد أخذت من العهد القديم أكثر من العهد الجديد بل انها كمن يأخذ صفحة من التوراة فيعتبرها بمثابة الكتاب المقدس كله •

فتجيب دنيازاد ـــ فما رأيك يا أختاه اذا كنت أميل الى الاعتقاد بأن الحضارة الغربية قد غدت غربية فقط ولم تعد مسيحية غربية وان هذا التحول الحضاري قد بدأ منذ عصر التنوير في القرن الثامن عشر بشكل واضح واستمر في النضج عبر القرن الماضي والحالي وان العلم المادي والرياضي والصناعية والبرلمانية الفعالة في الداخل والاستعلاء في العلاقات الخارجية وشيوع الطلاق وانحسار دور الكنيسة والسعي المنهجي الى المصالح الدنيوية كلها خصائص لم تأت من المسيحية بل من تطور الغرب كغرب وكمجموعة بشرية تحيا واقعها وحتى عندما يعلن الغرب أنه حام للمسيحية أو ناشر لها فليس وراء هذا الاعلان الا المصلحة الدنيوية المحض وكأن الدين قد اصبح اداة في يد العقلية الغربية الحديثة • وان ما يجري على يد الجانب الفعال على الاقل في الحضارة الشرقية ليس مسيحية ولا يهودية وليس مجرد تغرب وان التقى ظاهريا مع هذا الاسلوب او ذاك ، انه شيء جديد ، واذا كتب له البقاء فهو بداية حضارة جديدة لان الغاء النشاط الاقتصادي المستقل للافراد مع الاعتقاد بأن علاقات الانتاج هي الموجه الحاسم للتطور الاجتماعي ومع وجود صناعة وزراعة متقدمين أمور اقترنت ببعضها لاول مرة في حياة المجتمعات البشرية • وهذا ما يمنح التجربة الشرقية الان طابعها الفريد ويجعلها اجدر باسم الحضارة الشيوعية بدلا من المسيحية الشرقية أو الشرقية المتغربة •••
وهنا ادركهم الصباح فانتهت ليلة الناقوس الشرقي •

وفي الليلة الثالثة عشرة قالت شهرزاد بعد أن ظهرت المسيحية التي استفاد منها الغربيون ظل المجتمع السوري شاعرا بالمذلة أمام بقايا المجتمع الهيليني وخلفائه حتى حمل اليه فرسان العرب الدين الاسلامي الذي سرعان ما انتشر مغطيا منطقة الحضارة السورية السابقة والحضارة الفارسية المصرية وشمالي افريقيا وقسما من جنوبها وقسما من منطقة الحضارة الهيلينية ثم الهندية ، واذا كانت المسيحية في نظر حكيمنا قد تساهلت احيانا في موضوع التوحيد فان التوحيد في الدين الاسلامي تام النقاء • ويتمتع الاسلام بكثير من المزايا التي تصلح للمناطق المأهولة بشعوب مختلفة متعددة فهو دين متسامح لم يعرف التعصب الذي ظهر على يد

اليهودية ثم المسيحية ، ولعل المسلمين قد اضطهد بعضهم بعضا اكثر مما اضطهدوا الديانات الاخرى • وقد استفادت الحضارة الاسلامية من الحضارة السورية ومن الحضارة الفارسية وأحيتهما في ثناياها بل ان الحضارة الفارسية تابعت عن طريق الاسلام حكومتها العالمية المنهارة سابقا • واذا كان الدين الذي حمله العرب قد قبل بيسر في المجتمع السوري حتى لدى الاقلية المسيطرة فلعل مما ساعد على ذلك أنهم كانوا بروليتاريا مقصاة بعيدة عن المركز فليس بينهم وبين سادة المجتمع السوري احتكاك او منافسة سابقة تغلق النفوس سلفا •• وقد اظهر المسلمون من ضروب البسالة ما رفع من شأن اوليهم وأضر بآخريهم اذ لم يعد هؤلاء يبالون بالاعداء حق المبالاة ثقة بالنفس وقياسا على انتصارات الاجداد فشنت عليهم الغارات وأصبحوا هدفا يرمى وغزوا في عقر دارهم

واصابتهم الهزائم • والحضارة الاسلامية اليوم بفرعيها العربي والايراني تعاني من زحف الحضارة الغربية وتحار في أمرها ، فهل تقبل الحضارة الغربية بكل ما فيها ام تقبل بها جزئيا • ومما يذكر ان الحضارات التي تدافع عن وجودها في وجه الحضارة المتقدمة تحاول الاقتصار على اقتباس تقنية المتقدمين ولكن الاذكياء يدركون بحق ان عملية الاقتباس لن تتوقف عند حد محدود بل ستنتهي بأخذ كل شيء فالحضارة على المدى البعيد كل لا يتجزأ • ومن عادة الحضارات المدافعة ان تحلل الحضارة الزاحفة كما يحلل الموشور الضوء وتحللها الى فن وسياسة ودين واخلاق وتقنية وترى ان الامور التافهة في تكوين الشخصية الحضارية هي الامور التي تستطيع ان تقتبسها دون ان تخشى على جوهرها خطرا ولذلك تبدأ باقتباس التقنية عادة اذ تعتبرها مجرد ادوات خارجية لن تغير شيئا في جوهر الامور ولكن الاستمرار في الاقتباس سوف يوقف الحضارة المقتبسة وجها لوجه امام الاندماج في الحضارة الزاحفة • وقد قطعت المسيحية الشرقية شوطا في الاقتباس من الغرب حتى أخذت منه عقيدة متمردة عليه وحذت الصينية حذوها • وتقبل الهندية على التغرب وأما الاسلامية فهي من اكثر الحضارات تحفظا في الاخذ عن الغرب مع انها في الاصل ليست ابعد حضارة عنها كما أنها ليست أقرب حضارة اليها •ومع ذلك فان زحف الغرب على الحضارة الاسلامية لم يزل قائما ولم يزل مشاهدا ، ويعد بعض سلاطين بني عثمان ومحمد علي حاكم مصر روادا لاتجاه العالم الاسلامي نحو اقتباس التقنية الغربية وقد قطعت المحاولة شوطا بعيدا على يد الكماليين الاتراك ولعلها لم تعد مقتصرة على التقنية • ويضرب توينبي مثلا على استدراج بعض أجزاء الحضارة بعض أجزائها الاخرى فان حاجة محمد علي الى انشاء أسطول حديث حملته على استقدام الخبراء التقنيين وهؤلاء طالبوا بأطباء حديثين غربيين لهم ولعائلاتهم فأجيبوا الى مطلبهم وما لبث الاطباء ان وجدوا لديهم متسعا فافتتحوا مستشفى للولادة لم يقتصروا فيه على معالجة الاوربيات بل تعدوهن الى الوطنيات وهكذا وجد الحجاب الاسلامي متقهقرا امام الاساليب الغربية التي انتقل بذلك تأثيرها من المصنوعات المادية الى العلاقات الاجتماعية والاخلاقية • وتخاطب اذن العالم الاسلامي اليوم دعوات عدة فمن دعوة الى التغرب الاصلي ودعوة الى التغرب على الطريقة الشيوعية الى دعوة سلفية للمحافظة على الاستقلال الحضاري • وهكذا انتهت ليلة الاذان •

وفي الليلة الرابعة عشرة تحدثت شهرزاد عن القوم الذين حملوا الدين الاسلامي ونشروه لاول مرة وهم العرب الذين كانوا من مضطهدي الحضارة السورية ولا يعيشون في مركزها ، ولكنهم عندما نشروا ألويتهم لم يكونوا سلابين نهابين كغيرهم من بداة الغرب والشرق حين يهاجمون الحضارات بل احتضنوا دينهم واحتضنوا الحضارات التي اجتاحوها في آن واحد وتحضروا بسهولة ويسر • وما لبثت الحضارة الاسلامية أن انشقت فأصبحوا طرفا منها وبعد ان كانوا السائدين اذا بهم هم الطرف المغلوب

في الحضارة الاسلامية • وبعد انتهاء الحكم العثماني راحت الاقطار العربية تستقل من ناحية وتقع بين براثن الاستعمار الغربي من ناحية اخرى • فالدولة العثمانية على الرغم من كل ثغراتها كانت دولة كبيرة وبالتالي استطاعت أن تحمي الشعوب المنضوية تحت لوائها لفترة لا بأس بها من استعمار الغربيين وهكذا عجز الغربيون عن استعمار المنطقة العربية على نطاق واسع طالما ان الدولة العثمانية على صهوة جوادها وعجزت الصهيونية عن اجتياح فلسطين طالما ان العثمانيين موجودون اذ لم تنل يومئذ الا قطعا محدودة من الاراضي لا تغير من طبيعة انتماء فلسطين وعندما انتهت الدولة العثمانية وزالت بانتهائها الحكومة العالمية الاسلامية أصبح العرب وجها لوجه أمام الحضارة الغربية من جهة وامام الاستعمار الغربي والصهيوني من جهة ثانية فغلبوا امام الاستعمار واصبح قسم لا بأس به من بلادهم محتلا ، وقد استقلت بعض بلدانهم ولكن المصالح الاجنبية ما زالت كثيرة وكبيرة الضغط عليهم ، كما ان فلسطين لم تزل تعاني ما تعاني من الاستعمار الاستيطاني الصهيوني • اذن ما الحل الذي يرتأى للعرب ؟ انه في نظر توينبي وحدتهم ، صحيح ان توينبي ليس صديقا لمبدأ القوميات وعنده ان مبدأ القوميات يصلح للحضارة الغربية وما يصلح لحضارة قد يكون سما زعافا لحضارة اخرى ، وعندما انتقل مبدأ القوميات الى الشرق فتت الامبراطورية العثمانية دون ان يحل محلها ما يسد فراغها وقد كان تنظيمها ملائما للتشكيلة البشرية التي تتكون منها اذ تضم العرب والكرد والبلغار واليونان •• وهذا المبدأ لم يعد صالحا الان للحضارة الغربية ذاتها لان الصناعية والبرلمانية تضغطان لتجاوز القوميات ، ومع ذلك فتوينبي ينادي بالوحدة العربية ولا يسمي هذه الوحدة بأنها القومية العربية بل هي وحدة الجزء الناطق باللغة العربية من الحضارة الاسلامية ، فالامر مناسب للوحدة تماما طالما ان المنطقة العربية • تنتمي الى حضارة واحدة وتتكلم لغة واحدة ويشبه الامر ما جرى عند الغربيين عند قيام قومياتهم اذ كان كل شعب من شعوبهم يتكلم لغة خاصة ويعيش في منطقة خاصة نشأت الدول القومية بدون متاعب تصل الى حد معاندة التاريخ • والعرب مؤهلون لهذه الوحدة وهو يتعجب كيف انهم لم يتحدوا حتى الان ولكنه يستدرك فيقول ان الضغط والمؤامرات الاجنبية تلعب لعبتها بلا شك وللاقلية المنتفعة بالتجزئة دور فعل في اعاقة الوحدة وبخاصة اذا عمها الاجنبي بالاضافة الى خوف اصحاب الثروات النفطية من منافسة اخوانهم عليها اذا ما تمت الوحدة • وهكذا انتهت ليلة العربان •

وفي الليلة الخامسة عشرة خصت شهرزاد بحديثها جزءا معينا من الوطن العربي وهو فلسطين فقالت ان الشعب الفلسطيني شعب عربي منذ الاف السنين ، واما اليهود فهم بقايا مجتمع سوري متحجر آثر البقاء الجامد على الاندماج في الحضارات الاخرى والابداع عن طريقه ، وهم ليسوا بدعا في التاريخ فالارمن والبارسيون ايضا هم من بقايا مجتمعات متحجرة • وقد استطاع اليهود ان يكتسبوا بعض صفات الدأب والاقبال على العمل نتيجة للاضطهاد الذي لم يلاقوه على يد العرب والمسلمين بل على يد المسيحين الشرقيين بشكل خاص عندما كان قسم من اليهود يعيش على تخوم اوربا الشرقية واما القسم الذي كان يعيش في دار الاسلام فقد احسنت معاملته واما القسم الذي كان يعيش في البلاد العربية فأمره بين اضطهاد وحسن معاملة ونظرا لان الغربيين قد وثقوا بأنفسهم في السنوات الاخيرة فقد رفعوا اضطهادهم عن اليهود اذ لم يعودوا خائفين منهم ، ومع ذلك فاليهود بدعم من الغرب قد فكروا باحتلال فلسطين • ومن أنانية الغرب انه بدلا من ان يعتذر هو لليهود عن اضطهاده لهم ، وبدلا من ان يجعلهم يقتصون من النازيين الذين جددوا اضطهاد اليهود في القرن العشرين اذا به يتيح لهم ان يقتصوا من شعب بريء لم يذنب في حقهم وهو الشعب العربي

الفلسطيني ليس لليهود حق في فلسطين وليس لهم في اقامة دولة، ولا يملكون من فلسطين الا ما اشتروه عن طريق البيع والشراء الشرعيين الطبيعيين • ويعلق كاتب الكتاب الذي نقل هذه الفكرة الى العربية على عبارة ما اشتروه بشكل شرعي فيقول ان مساحة فلسطين ٢٧ مليونا من الدونمات كان اليهود يمتلكون عند قيام دولة اسرائيل (خمسة وسبعين الفا) ومليونين من الدونمات فقط امتلكوا ثلثها من أيام الدولة العثمانية وثلثها الاخر منحته لهم حكومة الانتداب البريطانية أما مجانا او بأسعار رمزية للوكالة اليهودية او للشركات اليهودية التي كانت تأخذ اكثر من حاجتها بكثير تنفيذا للمقاصد الاستعمارية الاستيطانية واما الثلث الاخير فقد باعته لهم العائلات الملاكة وهي غير فلسطينية كعائلة سرسق وسلام والشمعة والتويني والقوتلي •• ولم يبع الفلسطينيون انفسهم الا ثمانية وستين ألفا من الدونمات فقط من بين اكثر من مليوني دونم بيعت لليهود ، فاذا ذكرنا ان القوانين التي سنتها الحكومة المنتدبة كانت تؤدي بالفلاح الفلسطيني الى الافلاس وكانت تتيح للمحاكم والسلطات ان تغتصب ارضه احيانا ادركنا ان ما بيع حقا وشرعا هو اقل من هذا المقدار بكثير ، ومع ذلك فالذين باعوا لقوا جزاءهم غالبا برصاص الثوار • وقد دلل ضمير السياسة الغربية على تأصل الجريمة فيه فقد اغفل وعد بلفور ذكرى الحقوق السياسية لسكان فلسطين عامدا كما صيغ بشكل غامض يحتمل مخادعة العرب عن اهداف بريطانيا الحقيقية منه •

ويرى توينبي ان بريطانيا كانت تخادع وتماطل فهي من ناحية منتدبة من الفئة (آ) والانتداب من هذه الفئة يفترض فيه ان يعد الشعب للاستقلال ومن ناحية ثانية تسرب الغرباء الى فلسطين وتعد لليوم الذي يصبحون فيه فعالين في توجيه مستقبل البلاد • وقد وجه بلفور الى مجلس الوزراء البريطاني مذكرة قال فيها لست ادري لماذا جعل انتدابنا من الفئة (آ) مع اننا لا ننوي أن نعطي لهؤلاء — عرب فلسطين — حق تقرير المصير ويؤكد حكيمنا أن بلفور هذا كان رجلا شريرا ، وليس بلفور وحده بالشرير بل التكوين الغربي أيضا ، ويروي توينبي انه في احدى جلسات مؤتمر الصلح عقب الحرب العالمية الاولى كان مكلفا بايصال بعض الوثائق الى رئيس الوزارة البريطانية لويد جورج وكأن لويد جورج كان في حالة ذهول عندما استلم تلك الوثائق • أخذ يتصفحها اذ راح يفكر بصوت مسموع قائلا — بين النهرين ، النفط يجب أن نأخذ ما بين النهرين ، فلسطين ، نعم الصهيونية ، الوعد ، يجب ان تكون لنا فلسطين ، سوريا ماذا في سوريا ؟ فلتأخذها فرنسا •• — وهكذا عوملت هذه المنطقة كأداة لمصالح الغرب دون حساب لكرامة الانسان الذي يقطنها وحقوقه • وقد تنازع اليهود تياران ، تيار يرى ان يذوبوا حيث هم في المجتمعات التي يعيشون بين ظهرانها وبذلك يكونون قد أنهوا عزلتهم عن البشرية ، وتيار ثان صهيوني يرى ان يتقدم اليهود الى العالم عن طريق دولة قومية خاصة بهم فيغدون كسائر امم الارض المعترف بها سياسيا واجتماعيا ، وقد افلحت الصهيونية في جعل يهود المدن الشرقية والغربية ينقلبون فلاحين في المستعمرات التي شيدت على أرض فلسطين وأن تبث فيهم الحماسة فيتدفقون على فلسطين من شتى انحاء الارض ولكنها لم تفلح في حمل سكان المنطقة العربية المحيطة بفلسطين على قبولهم ولا في حمل سكان فلسطين الاصليين على نسيان حقهم في وطنهم • وهكذا سبب غرور الصهيونية وجشعها ارتباكا واسعا في العالم • وسيولا من الدماء وصدعا في السلم وجراحا يصعب اندمالها • وهكذا انتهت الليلة الخامسة عشرة وكانت ليلة الاحقاد •

وفي الليلة السادسة عشرة عادت شهرزاد الى الحديث عن التقدم ولكن من خلال الفترة المعاصرة فقالت سبق أن ذكرت ان التقدم الحقيقي ليس في التقدم التقني وهو ليس في السيطرة على الطبيعة وحدها وانما التقدم الحقيقي هو مايرفع مستوى

الانسان روحيا ويجعله محبا للانسانية مقبل على التعاون والمحبة • ومن الملاحظ ان التقدم التقني قد سبق التقدم الروحي والاخلاقي عند الانسان مما جعل العالم يقف امام هوة فاغرة الفم • فالتلفزيون مثلا يجعل الحكومات توجه العقول كما تشاء وتنقل اليها الوقائع على شكل سينمائي بحيث يعجز الانسان عن التفريق بين الحقيقة والخيال فيحسب ان الوقائع خيالات او تعاملها نفسه معاملة الخيالات وهكذا يشاهد الامريكي فظائع حكومته في فيتنام دون ان يهتز له عصب لأنها تمر عليه مر الخيال،وتكاد الحرية الفكرية تنعدم عن طريق التيلفزيونات والاذاعة الموجهة • وأما العقل الاليكتروني فهو يخالف قاعدة ـ اعمله بنفسك ـ ويعود الفكر على الكسل ويجعل قادة المجتمعات يفكرون في الانسان على أنه ارقام وكميات يستطيعون التصرف بها تصرفهم بالاحجار والمعادن والصخور والذرات وهكذا تتضاءل قيمة الانسان • ثم ان الدول الكبرى تتنافس على الفضاء الخارجي والصعود الى الكواكب والقمر والنجوم ويقول توينبي لو انه يحكم العالم ـ ومن حسن حظ العالم أنه لا يحكمه على حد قوله لاخر هذه الامور لا الى المرتبة الثانية من الاهمية بل الى المرتبة الثالثة والرابعة وما بعدها فأمام العالم أمور ملحة من الناحية الانسانية ، امامه مشكلة الغذاء والدواء والسكن وانهاء الحروب ••• فكيف تترك هذه المشكلات ويبحث الانسان عن الفضاء الخارجي وينفق في ذلك الاموال الطائلة وجهود عشرات الالاف من العلماء والايدي الفنية • اذن فلا يفرح الانسان بتقدمه التقني اذا لم يكن هذا التقدم في سبيله وسبيل اخوانه وماذا يجري في العالم الان ؟ تلك هي المسيحية الغربية قد ضعف مركزها اي اوربا الغربية واصبح زمامها بيد الولايات المتحدة الامريكية وقويت الحضارة المنافسة وهي المسيحية الشرقية التي تغربت بعض التغرب ولا يوجد في الافق القريب أي منافس لهاتين القوتين ـ الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي ـ يقف على قدم المساواة معهما ومن الصعب على الكومنولث ان يتماسك ليشكل قوة عظمى موحدة لان الوحدة مخالفة للاتجاه الذي اعتاد السير عليه وهو استقلال اجزائه وبروز شخصياتها كما يصعب على الصين والهند تجاوز رواسب التخلف بسرعة كافية لجعل احداهما او كليهما القوة الرئيسية في العالم ، فالعالم الان ولمدة لا بأس بها محكوم من قبل الدولتين العظميين ويكفي هذا لمعرفة فظاعة الموقف الذي يجد الانسان نفسه فيه ، فأسلحة تكفي للقضاء على النوع الانساني بأجمعه ، وعالم موحد عن طريق المواصلات ووسائل الاعلام الحديثة ، وقوتان كبريان تمتلك كل منهما ما تستطيع به أن تلغي الاخرى وتلغي نفسها والاخرين معها فلمن يتأمل فيهذا الموقف احق في أن يخاف على مستقبل العالم• وبذلك انتهت الليلة السادسة عشرة وكانت ليلة الآن•

وفي الليلة السابعة عشرة تحدثت شهرزاد عن مقبل الايام فقالت اذن ماذا ينتظر العالم ـ ربما كان الفناء ، فالنوع الانساني ليس اول نوع حي ينتهي فقد انقرض من قبله الديناصور وكان اشد منه عزما وعاش ملايين السنين كما انقرضت الاسماك المدرعة وقدينقرض الانسان اذا فجر على نفسه أسلحته النووية ، لا توجد على الارض اليوم قوة قادرة على افناء الانسان الا الانسان ذاته ، فانقراض الانسان انتحار ، واذا ما وقعت الواقعة فقد تبقى على الارض بعض الكائنات الصغيرة كالحشرات واذا تخيلنا انها سوف تستطيع النطق في المستقبل فلربما تتحدث عن الديناصورات وعن الاسماك المدرعة وأيضا عن ابناء آدم الذين كانوا من الحمق بحيث لم يدعوا القوى الكونية تقضي عليهم بل قضوا هم على أنفسهم • ويرى توينبي ان النوع الانساني ما يزال طفلا وحرام ان ينتهي بهذه السرعة ، فالكرة الارضية تحتمله لمدة مليارين من السنين وهو لم يعش الى اليوم الا نصف مليون من السنين فهو لم يبدأ شبابه بعد فحرام عليه أن يقضي على نفسه منذ الان • انه اذا عاش وتمكن من أن يتسالم ويتعاون فما اعظم الخيرات التي تنتظره

طالما انه وهو يحبوا استطاع ان يسيطر على كثير من قوى الطبيعية ويغدو سيد هذه الكـرة الارضية • اذن فمن الممكن ان يقضي الانسان على نفسه ولكن من الممكن ايضا ان تحكم العالم حكومة واحدة تنشأ عن طريق القوة كأن تباغت احدى القوتين الكبيرتين الاخرى فتقضي عليها القضاء العاجل وتسود العالم بأجمعه بعدها وهذه النهاية لبني البشر لا يريدهـا توينبي لهم ايضا لان قرونا وقرونا من الاضطهاد والظلم والمتاعب سوف تمر بهم • ويمكن للانسان ان يفتتح عهدا جديدا هو عهد مجتمع عالمي وحكومة عالمية لا يقوم على الاكراه والحرب بل على التفاهم ومعرفة كل جماعة حدها وحقها وواجبها وعندئـذ ينفسح مجال السعادة امام الانسان ، وماذا يمنع من ذلك وقد ثقف الانسان وتعلم وأصبح واعيا يحسن التفكير ، نعم ما الذي يمنعـه من ان يتجه هـذا الاتجاه ـ ؟ انها التقاليد وركام القيود فعليه ان يغير التربية ان المستقبل المشرق للانسانية يقتضي تغيير التربية بحيث لاتعود تربية متعصبة حربية بل تربية تعاونية ودية وعلى الانسان ان يتحلى بالصبر حتى يصل الى هذه النتيجة • ويناشد توينبي الشباب لانهم مرنون ولم تثقلهم القيود ولم يصبحوا قسما من أحجـار الشطرنج في المجتمع وما يزال فكرهم حيا وقـادرا على التغير والتطور ، انه يناشد الشباب الا يختاروا مثلهم العليا من بين المستعمرين والطامعين والقساة والظالمين وانما ان يتخذوا لهم مثلا عليا من الانبيـاء والصالحين والمصلحين والفلاسفة ومحبي الانسانيـة فالامل معقود عليهم • وكما ان توينبي لا يستبعـد الانقراض فهو لا يستبعد ايضا وصول الانسان الى العالم السعيد ولكن بالجهد والتعب ويعتقد توينبي ان الانسان حر فحتى دورة الحضارات من ارتقـاء وانهيار وانحلال ليست دورة حتمية في نظر توينبي وانما الانسان حر تجاهها ، والحضارة التي لا يريـد لها ابناؤها ان تزول ويتخذون لذلك الوسائل المناسبة فانها لا تزول • ويعتقد حكيمنا ان الانسان لا يراوح بل هو يتقدم فكل حضارة تضيف شيئا جديـدا والانسانية عربة تدور على عجلاتها فتسير الى الامام ولقد حقق الانسان كثيرا من التقدم في المجال التقني وحتى في مجال العلاقات الانسانية فقد اصبح الاستعمار مكروها وكذلك الظلم الاجتماعي وأصبحت الحرية والعدالة الاجتماعية مطلوبتين وقد شعر البشر كـل البشر بكرامتهم ومكانتهم ، وقد زادت قدرة الانسان على تغيير واقعه بحريته واختياره وهو مدعو الـى ان يمارس هذه الحرية وهذا الاختيار لا بالشكـل الصبياني في انتاج الاسلحة والتدمير والتسابق على احتلال الكواكب قبل الاوان انما بالشكل العاقـل الاخلاقي المجدي الذي يرفع مستوى البشر ويوصلهم الى مقام البراءة والتعاون والمحبة • وأدرك شهرزاد الصباح فانتهت ليلة المستقبل •

وفي الليلة الثامنة عشرة قالت شهرزاد اعتـرف لك يامولاي ان احاديث الليالي السابقة تناولت نوعا واحدا من الحضارات وهو الحضارة التي استطاعت ان تحقق جميع مراحل التطور الحضاري وأبعـاده فتنضج بعد طفولة وتشيخ بعد اكتمال ، وأود الليلة ان استدرك فأنبئك ان بعض الحضارات من غير التي عددت لم تتابع قانون المراحل بدقة ومنها الحضارات العقيمة التي تغلبت على مصاعب الميلاد ولكنها مالبثت ان ماتت في المهد كالحضارة المسيحية الايرلندية او الكلتية التي انتهت في القرن الحادي عشر مخليـة الطريق لزحف المسيحية الغربية وكالحضارة الاسكندنافية الشمالية التي اندمجت قبل أن تتطور في الحضـارة المسيحية الغربية أيضا ، ومنها الحضارات المتعطلة التي استطاعت ان تعيش مدة طويلة ولكن مع تجمدها على عقلية الطفولة فكأنها الانسان المتخلف عقليا ، ويبدو ان الجهد الذي بذلته للتغلب على التحـدي الاول استنفذ طاقتها الابداعية فعجزت عن التطور في مواجهة التحديات الجديدة ومن أمثلتها حضارة الاسكيمـو وحضارة العثمانيين ، فأما حضارة الاسكيمو فقـد تغلبت على تحد البيئة الجليدية وحافظ أبناؤها على حياتهم في تلك البيئة الصعبة ولكنها لم تتقدم ولـم

تنطور عن الحد الادنى الذي وصلت اليه فعاشت الاف السنين في وضعها الطفولي الاول ، وأما العثمانيون فقد حافظوا على بقائهم عدة مئات من السنين لانهم قد أبدعوا شيئا هاما او أبدعوا في تنفيذ شيء هام سبقهم اليه المماليك وهو اعداد معاونين بشريين للمقاتل البدوي الاصل تحل محل الحيوانات المساعدة له كالحصان والكلب فتحولوا بذلك من دولة بدوية سريعة الانقراض كالنوع الذي تحدث عنه ابن خلدون الى دولة قابلة للاستمرار مدة اطول لان المعتمد على البشر المدربين يغنم منهم فاعلية يفتقر اليها من يقصر اعتماده على الحيوانات وحدها مهما كانت نشيطة ووفية ، وان تدريب القطيع البشري المساعد لهم تجلى في انشائهم الجيش الانكشاري

الذي أعدوه اعدادا قويا واستهانوا في سبيل اعداده بكثير من المواصفات والتقاليد كالاصل الولادي والنسب وقدروا المجيد لاجادته بغض النظر عن أصله حتى بلغ الامر حد تزويج المجيدين بالاميرات وبهذا التركيز الشديد على اعداد جيشهم وتشجيعه امتلكوا قوة باسلة امتدت وصمدت عدة مئات من السنين الا انهم انفقوا جهدهم كله في هذه الوسيلة فلم يعودوا قادرين على تجديد الابداع وتغيير وسائل مواجهة التحديات بحسب التحديات المستجدة ، وما لبث الفساد ان استشرى في الجيش الانكشاري وعجز العثمانيون عن معالجته وتلفتوا فاذا بالغرب يواجههم بقوى جديدة وأساليب مبتكرة فحاولوا التغرب المحدود على يد سليم الثالث ومحمود الثاني وقد فشلوا في أول الامر وظلوا يتعثرون حتى نقلهم أتاتورك الى التغريب شبه الكامل • وهكذا انتهت الليلة الثامنة عشرة وكانت ليلة الاشتات •

وفي الليلة التاسعة عشرة قالت دنيازاد يبدو أن الليالي التي خصصتها لهذا الحكيم توشك على الانتهاء ولهذا وددت ان اكشف عن شعور اخذ يلح علي منذ بدايات الحديث عنه وهو قربه من ابن خلدون او هو على الاقل ذكرني بابن خلدون فابن خلدون وأرنولد توينبي مؤرخان في الاصل ومطلعان على ما تجمع في عصريهما من ثقافة وهما يريان يا أختاه لكل حضارة يوما له فتراته الثلاث صباح وظهر ومساء وان اختلفت التسميات ، ويعتقدان ان بداية الحضارة بساطه وتقشف وان نهايتها تعقيد واقبال على مظاهر الحياة • ولعلهما يتفقان في امور اقرب الى تفصيلات الرأي مما ذكرت ففي مقابل الحضارات المتحجرة عند توينبي اتذكر ان ابن خلدون انبأ بأن الحضارة المنتهية جوهرا قد يطول عمرها مع جفاف ينبوع حياتها اذا لم يوجد الى جوارها من يقوى على انهائها فيمتد عمرها امتدادا زائفا ، وفي مقابل الحضارات العقيمة عند توينبي اذكر وصف ابن خلدون لعصبيات ما تكاد تخطو الخطوات الاولى نحو تكوين حضارتها الخاصة حتى تصادف حضارة قائمة تجذبها فتلحق بها وتصبح جزءا منها ولا تتم طريقها نحو التكون الاصيل • والمفكران لا يكتفيان بنوع واحد من انواع الاسباب المؤثرة بل يعللان الحوادث التاريخية بمختلف العوامل كالجغرافية والنفسية والثقافية والاقتصادية والاجتماعية العامة ، وكل منهما كان موضوعيا في نظرته الى مجتمعه فأما ابن خلدون فقد سجل انحدار العرب في ايامه واسباب ذلك الانحدار التي يعود قسم منها الى ايام عزهم وقسم الى أيام تكونهم الاولى ، واما توينبي فيروي مأساة الحضارة الغربية الذاتية من انانية وغرور وحروب كما يروي مأساتها الخارجية مع أنها ما زالت اكثر الحضارات الباقية تفوقا ••

فتجيبها شهرزاد كل هذا صحيح ياأخت واكثر منه وهو لا ينفي ما بينهما من تباين لعل جله يعود الى اختلاف العصرين فقد كان ابن خلدون يقرن الدولة الى الحضارة فلكل دولة حضارتها في مذهبه او لكل حضارة دولتها تقريبا فثمة دولة للمرابطين وحضارة المرابطين ودولة الموحدين وحضارة الموحدين ، وأما توينبي فقد فصل بين الدولة

والحضارة وجعل الحضارة اوسع من الدولة وغالبا ما تضم عدة دول ولا تكاد تتحد الحضارة سياسيا الا في مرحلة الحكومة العالمية حكومتها العالمية وهي ليست من مراحل النمو او من علامات الصحة • وقد كان عمر الحضارات عند ابن خلدون قصيرا كأعمار الدولة او السلالات الحاكمة وقد قدر لمتوسطها مائة عام وقد عد توينبي هذا العمر قصيرا وعزاه الى ان المجتمعات التي تناولها ابن خلدون بدوية سريعة الاندفاع سريعة الذبول لانها لا تغير من الأدوات والكائنات التي يعتمد عليها البدوي وأما الحضارات الشهيرة عند توينبي فان احداها لتعيش مئات السنين على الاقل ومنها ما يمتد عمره الاف الأعوام ، ثم ان الحتمية في مقدمة ابن خلدون تكاد تأخذ شكلا جبريا فالنهاية مفروضة لا بد منها وان عمل العاملون على بقاء الدولة او الحضارة على حين يفتح توينبي باب الحرية والاختيار حين يؤكد ان الحضارة التي يصمم أبناؤها على ابقائها ويدعون ما يديمها فانها ستبقى • وابن خلدون لا يجد ان الحضارات حلقات في سلسلة تتقدم الى الامام فالبشرية عنده كالبحر يرتفع موجه ويهبط في مكانه في حين يعتقد توينبي بان الحضارات خطوات على طريق تقدم البشرية فالتاريخ كالعربة التي تسير قدما بدوران عجلاتها وابن خلدون يكتفي بعرض القوانين التي رآها تسير الحضارات والدول كما لاحظها دون ان يتشوف مستقبلا او يناشد احدا بالاقبال على فعل او الاحجام عنه في سبيل مستقبل افضل على العكس من توينبي الذي ملأ الدنيا مناشدة ونداء بان الانسانية مهددة بالانتحار بوسائله المتقدمة ذاتها اذا لم يتدارك نفسه بالعدل والسلم والوحدة والاحياء الروحي وكان صاحب المقدمة اكثر ربطا لنفسه في طاعة العلم وعدم تجاوز نتائجه فهو يكتفي بصوغ احكام الوجود في حين يأخذ توينبي انفعال الخوف على البشرية فيطلق احكام الوجوب ويفرق للناس بين طريق الخير وطريق الشر وينصح وقد يبدو مصلحا اجتماعيا يستفيد من الحقائق العلمية •

فتسألها دنيازاد وما قولك ؟

فتجيب شهرزاد انني اتعاطف مع اصحاب الدورات هؤلاء وبخاصة اذا هم قرروا ان الخطوات الحاسمة الجديدة لا يخطوها اولئك المتربعون على القمة بل الشعوب المناضلة في اسفل السفح من اجل ازالة العقبات التي تحول بينها وبين الحياة الانسانية الكريمة واذا كنت غير متأكدة مما في هذا الرأي من حق فانني واثقة بما فيه من أمل للشعوب التي ينظر اليها اصحاب القمة باستعلاء على اعتبارها متخلفة مستضعفةوبما فيه منازدراء لتعالي المتقدمينوغرورهم بل ما لي اتردد في اعتباره حقيقة واقعة وانا ارى الحضارة المتقدمة اليوم تزداد انصرافا الى العبث وامعانا في اللذة المباشرة وانشغالا بها عن القيم العليا

وارى اعدادا متزايدة من ابناء المجتمعات الفقيرة المتخلفة تقبل على المعرفة واللذائذ المرهفة اقبال الظامىء لايام على المنهل العذب ، ان وجه الغرب اليوم يزداد تجعدا بالقسمات التي غطت وجهه ربما عندما آذنت شمس حضارتها القديمة بالغروب ، واذا كان الرصيد العلمي والصناعي خميرة نافعة للغرب في ايامه السود فهذا لا ينفي ان الينبوع قد اخذ يجف • ومهما يكن من امر الناس مع حكيم هذه الليالي ، واذا كان بعضهم لم يروا فيه اكثر من تعزية وتوصية بل طبقة بورجوازية منهارة ، واذا اعتقد بعضهم ان خياله اوسع من عقله ، واذا غده اخرون معبرا عنيدا ودقيقا عن ابعاد العصر اللامتناهية فانني اجد فيه مفكرا خفيف الظل على اطالته يروي قناعته باخلاص ويمتلىء قلبه بحب الانسان ويبحث عما يدفعه الى فعل الخير ويعينه عليه • وليس مما يخالف طبائع الاشياء ان يكون اطلاعه على الحضارة الهيلينية وسليلتها الغربية اكثر من اطلاعه على سواهما وان ينعم بشكل غير مقصود ببعض خصائصهما

على الحضارات الاخرى فهو مثلا يعد قيام الحكومة العالمية للحضارة مظهرا من مظاهر المرحلة الاخيرة من مراحل الحضارات مع أن الحضارة العربية الاسلامية قد ابتدأت تقريبا بالحكومة العالمية فما اقصر الزمن الفاصل بين ظهور الاسلام وبين قيام الدولة التي تحكم كل المسلمين وتنمو بنموهم فالطبيعة الحضارية هنا مختلفة عن الحضارة الهيلينية التي ارتقت عن طريق دول المدن ثم جاءها التوحيد السياسي قسرا وكانقاذ لها بعد ان اخذ الجفاف يسري في عروقها • ولو انني تفحصت بقية آرائه لوجدت الكثير مما يناقش ولكنني اردت في هذه الليالي ان اثبت ان دراسته مفيدة ممتعة وان مخالفته ممكنة واظنني فعلت او كدت • وهنا ادركها الصباح فانتهت الليلة قبل الاخيرة وكانت ليلة الانصاف •

وفي الليلة العشرين وهي الليلة الاخيرة ، قالت دنيازاد لاختها شهرزاد لو اخترت لك شعبا من الشعوب وليكن العرب وسألتك ان تنصحيه نصيحة مستمدة من آراء هذا الحكيم او مستوحاة منها فماذا كنت تقولين ؟

فتجيب شهرزاد كنت اقول يا اختاه ياعرب لقد كان لكم في الزمان الغابر موقع جغرافي ممتاز في السلم والحرب وكان لكم محصول رئيسي هو الحبوب ، فأما الموقع فقد غابت أهميته او تضاءلت مدة بسبب الاكتشافات الجغرافية ثم عادت اليه الاهمية بعد شق قناة السويس وبعد تطور الملاحة الجوية المحتاجة الى التزود بالوقود في بقاعكم ، وأما المحصول الرئيسي فلم يعد الحبوب لان مناطق عديدة من العالم اصبحت تنتجها فلم تعد وقفا عليكم ولكنكم رزقتم محصولا رئيسيا أخر ناب عنه وعن الحبوب ولم يقل عنها قيمة وهو النفط • وان من حقكم بل من واجبكم ان تستفيدوا من موقعكم ومن محصولكم الرئيسي لتستطيعوا الوقوف على ارجلكم مرة اخرى والنهوض بالاعباء الملقاة عليكم تجاه انفسكم وتجاه الانسانية ، ولتعلموا ان الفرص التي تواتي الامم عادة لا تستمر الى الابد فمن الممكن ان تعتمد الملاحة البحرية والجوية في المستقبل على عابرات لا تحتاج الى التزود بالوقود بين المرحلة والاخرى من مراحل طريقها ومن الممكن ان ينضب النفط او تعثر الصناعة على بديل عنه ، فالخير كل الخير في مبادرة الفرصة المتاحة وحسن استثمارها والشر كل الشر في اهمالها واساءة تناولها • وان كل مافيكم ومايواجهكم يدعوكم الى الوحدة وانكم لفي عصر تسعى فيه الأمم المتعادية الى الوحدة فكيف باجزاء الامة الواحدة،ولا تتناسو ان حجمكم الدولي والحضاري يتناسب مع مستواكم من التوحيد فهو يتضاءل بالتجزئة والتشرذم ويعظم بمقدار ما يتحقق من التوحيد وقد جربتم ذلك في حينه او في احيانه • وان من حولكم شعوبا تشاركك وتشاركونها في شيء من التاريخ وشيء من الثقافة وشيء من القيم فهي جديرة بفهمكم وانتم جديرون بفهمها لانتمائكم واياها الى ارومة حضارية واحدة فلا تهملوا العلاقة النضالية والاجتماعية والثقافية معها وان حاولت سياسات بعض حكوماتها ان تدفعكم الى هذا الاهمال • ولتتذكروا ان روح الحضارة هو الابداع وان جسدها هو تنفيذ معطيات الابداع بالشكل المناسب والزمن المناسب ، فهي قائمة على التفاعل والتوازن بين الحرية والنظام،فلا تنحرفوا بالحرية بحيث تضيع النظام فتضيع نفسها والحضارة، ولا تنحرفوا بالنظام بحيث يضيع الحرية فيضيع نفسه والحضارة •• وهنا قاطعها شهريار الملك قائلا : — احذري ياشهرزاد ان تنالي مني مغضبا فقد شعرت بأنك تعرضين بي ، تحاول شهرزاد ان تحاوره وان تبين له انها تتكلم بالنيابة عن حكيم لياليها العشرين ولكن الديك صاح وكل ديك على كومته صياح فادرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح •

سهيل عثمان



عبد الله احمد الهيسن

ياشام ان مد صب للوداع يدا ... وان تذكر من فيض الكرام ندى

وودعته ربوع الخلد باسمة ... وعانقته رياح الشوق من بردى

فانه وجراح القلب نازفة ... يستلهم الامل المنشود متئدا

يسلو المحبون ان شط المزار بهم ... وعاشق الشام لا يسلو الهوى أبدا

• • • • • •

ياشام ياعبد شمس فوق سدته ... ويا أشم من الاطواد ما سجدا

ويا أمية ما غابت عساكرها ... تفرى العدا وتهد الشامخ الصلدا

ان ينزف الجرح مختالا بفارسه ... وكان موعدنا – فيما أرى – صفدا

أكاد أقسم والاحداث تخذلني ... اني ارى المجد مثل النار متقدا

وابصر الراية الحمراء ترفعها ... أيدي المناجيد لا نحصي لهم عددا

يحمي الكمي مع الاخوان حوزته ... فان تولوا بدا في الساح منفردا

لا يضعف الحدث الدامي حميته ... ولا يفل له عزما اذا وردا

• • • • • •

ياشام ماكان قولي دون معرفتي ... كلا ولا كان قولي بينكم فندا

ما زارنا اليأس والاصفاد تأسرنا ... والخصم كم ملأ الدنيا وكم حشدا

أما رأيت هضاب الشام ثائرة ... وقاسيون على أحداثنا صمدا

ماغاب منا لدى الجلى عزائمنا ... يوم اللقاء ولا ضاع الجهاد سدى

غدا تغيب الدياجي يوم مولدنا ... رغم العدو وما أبدى وما رصدا

ويزحف القائد المغوار منتصرا ... يمحو الطغاة فيمضي أمرهم بددا

ياشام ألقيت في كفيك مبتدرا ... حشاشة الروح والاهلين والولدا

ان تحفظي الود والايام قادمة ... فكم حفظت على طول الزمان يدا

حديث في الإعلام

الدكتور محمد عبده يماني

بسم الله الرحمن الرحيم ، والصلاة والسلام على اشرف الانبياء والمرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه اجمعين وبعد .

فشكرا للنادي الكريم على دعوته ، وشكرا لكم على تفضلكم بالحضور ، ونظرا الى اني احاضر بعد معالي الصديق **الدكتور غازي القصيبي** ، فقد توقعت ان تكون اضاءة الكهرباء افضل مما هي عليه امام المنضدة الآن . وفي الحقيقة اشعر بسعادة كبيرة ان التقي بكم ، وان احاضر فللدعوة مصادفات جميلة ان نحاضر نتحدث ونتناقش عن الاعلام في شهر الاعلام . **فشهر رمضان بالنسبة لنا شهر الاعلام** ،لانه الشهر الذي انزل فيه **القرآن** . والرسول صلى الله عليه وسلم بالنسبة لنا هو القدوة الحسنة في قضايانا الاعلامية جميعا . ومن حسن المصادفة ايضا ان احاضر عن الاعلام في مدينة اعلامية كالطائف . وقد اشتهرت بنواديها الثقافية ومؤتمراتها الثقافية منذ القدم في سوق عكاظ .

وهذه المصادفة حسنة ايضا . ولعلها مصادفة جميلة ان احاضر في النادى الادبي بالطائف ، والذي هو من انشط نوادينا واعطى مثلا طيبا ورائعا للايجابيات التي يمكن ان تتم رغم كل الظروف التي تحيط بالشخص الذي يريد او بالمجموعة التي تريد ان تعمل قد يكون من المناسب ان نمر على بعض التعاريف الاولية عى اساس ان نعرف بأن الاعلام كما هو معروف مأخوذ من لغة العلم وهو المعرفة . وصيغة الاعلام معناها ايصال المعرفة الى الاخرين والتعريف بالشيء او الايقاف عليه . ويستفاد من التعريفات المختلفة في كتب البلاغة ان الاعلام هو الاشعار ويقال اعلم فلان اخبره او اعلم فلان بالخبر يعني اخبره به . وبطبيعة الحال لا نريد ان ندخل في متاهات التعريفات وانما نمر عليها مرورا عابرا .

فالاعلام عرفه العرب قديما ومارسوه في اشكال مختلفة كسائر الامم ، وبلا شك ان اهم الوسائل التي عرفوها هي القصيدة الشعرية كالمعلقات ايضا الخطب والخطباء اقامة الندوات وسيلة المناداة ، وكانت تتم في بعض الاحيان من اعالي البيوت وهناك ايضا وسائل في الجاهلية ايضا عرفت وهي اشعال النيران في القمم وعلى رؤوس الجبال . ايضا وسيلة الاسواق كسوق عكاظ وذي المجاز ووسيلة رواية القصص وغير ذلك .

والاسلام احتفظ ببعض هذه الملامح كالقصيدة الشعرية والخطابة وبلغت اوجها في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وعهد الخلفاء ايضا من بعده . كذلك احتفظ الاسلامبوسيلة اقامة الندوات المتتالية ولكنه استحدث وسيلة جديدة في تطوير الاعلام في الاسلام والاتصال بالناس لبعث التعاليم الاسلامية فكان منها وسيلة الغزوات كبدر وحنين والخندق .. ووسيلة الاذان لاقامة الصلوات والاعلام بها .

وكان القرآن الكريم اكبروسائل الاعلام الاسلامي عبر القرن لان فيهاخبار الاممحوادث الزمان واخبار عن الغيب وعن صفة الجنة والنار . ثم كان الحديث النبوي الشريف المروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وسيلة من وسائل الاعلام الشريف ، الاعلام الاسلامي الذي يشمل الدنيا بأسرها ، وهو يحمل بين طياته الصحاح والمسانيد منيرة للناس الطريق وكان له اكبر الاثر في نشر الثقافة الاسلامية وهو قوة لا تضاهي في الحث على العمل بالكتاب والسنة .

★ نص المحاضرة التي القاها معالي وزير الاعلامالسعودي الدكتور محمد عبده يماني في نادي الطائف الادبي مساء يوم الاربعاء الموافق ١٧-٩-١٩٧١ .

ورجال الاعلام في الاسلام هم الصحابة الكرام الذين حملهم الرسول صلى الله عليه وسلم مسؤليات كبيرة في نشر الدعوة ، وكانواخير من قام بهذهالمسؤلية فبثوها في اتباعهم ورووا عنهم اتباعهم وتابعيهم حتى وصل الينا الحديث الشريف اليوم وكان في سلاسل هذه الروايات اتصال شخصي وجمع وعمل من اهم مفاهيم الاعلام في عصرنا الحديث .

ثم بعد ذلك جاءت فترة تمت الدعاية وتم النشر وكان ايضا موسم الحج لهم مكان يستغل لاقامة هذه العلاقات ، وكان وسيلة اعلامية كبيرة فاذا كان مفهوم الاعلام بمعناه السليم هو تزويد الناس بالاخبار والمعلومات الصحيحة والحقائق الثابتة التي تساعد الناس على تكوين رأي صائب في واقعة من الوقائع او حول مشكلة من المشاكل ، فاذا خلت هذه العملية من الصدق لا تصبح اذا اعلاما بالمعنى الصحيح ، بل هي تضليل وتدخل في معنى الدعاية الفاسدة.وفي الحقيقة ان الدعوة الاسلامية لم تنجح الا لان حملته اصدق لهجة واصدق بيان في اصدق كتاب . وكان رسولنا صلى الله عليه وسلم اعلى مثل في الصدق والامانة وهو كما ذكرت في صدر المحاضرة هو القدوة الحسنة لرجال الاعلام .

وايضا بعد ذلك جاءت فترة كما نعلم استغلت فيها الدعاية وهي قوة سياسية ومذهبية قد تنجح وقد تخطىء . ومن اجل ذلك يستحسن ان يفرق الناس بين الدعوة والدعاية والاعلام ومن اعظم قدوة رسول الله صلى الله عليه وسلم الاعلام هي الجهود التي ذكرت والتي بذلها الصحابة رضوان الله عليهم .

وقد مرت الامة الاسلامية بأطوار الدعوة ، والدعاية ، والاعلام ، وكل طور من هذه الاطوار امتاز بفن الاتصال بالاخرين ، ففي الزمن الماضي كان يتم الاتصال الشخصي والجماعي لغرض الاعلام . وفي العصر الحديث تم الاتصال الجماهيري بعدان اخترعت الوسائل الحديثة المختلفة .

وقبل ان ندخل في صلب المحاضرة بعد هذه المقدمة ، اود ان أؤكد بأن منطلق الاعلام في السياسة الاعلامية في المملكة العربية السعودية هو نفس منطلق السياسة العامة للمملكة ، سياستها في الخارجية ، سياستها في الحكم ، سياستها الاقتصادية ، جميع السياسات تنطلق من منطلق واحد هو العقيدة الاسلامية وكل جزء وكل اجزاء نتخذه يجب ألا يتعارض بأي حال من الاحوال مع تعاليم الشريعة السمحاء .

اذا أردنا ان نتحدث الان عن الاعلام ، فيمكن ان نقسمه الى الاعلام الداخلي ، والاعلام الخارجي، وهذا هو التقسيم التقليدي له . غير اننا عندما نتحدث عن الاعلام الداخلي فيعني ما يجري داخل المملكة العربية السعودية من اعلام سواء صحافة او اذاعة وتلفزيون او وكالة انباء .

اما الاعلام الخارجي فينقسم الى اقسام ... بالنسبة لنا في المملكة العربية السعودية نعتبر ان الاعلام الخارجي اولا في الاطار الاسلامي، واطار العالم العربي ثم اطار العالم الاجنبي . وبالنسبة للعالم الاجنبي نقسمه ايضا الى قسمين على اساس ان هناك اعلام لنا في دول صديقة تربطنا معها علاقات او نتفق معها على مجموعة افكار ومبادىء . وهناك دول اخرى اجنبية نختلف معها كل الاختلاف عقائديا ومذهبيا ولذلك يختلف وضع الاعلام الخارجي في هذه الدول باختلاف هذه الطبيعة التي ذكرت .

في اطار الاعلام العربي والاسلامي اذا اردنا ان نتحدث عن الاعلام العربي فبصراحة انا اعتقد ان الاعلام العربي فشل في تعريف العرب ببعضهم كل الفشل وبالعكس اثر تأثيرا سيئا وادى الى نتائج سلبية في تفريق صفوف العرب في بعض الاحيان .

اعلامنا العربي سلبياته اكثر من ايجابياته ورغم كل الجهود التي بذلت من الجامعة العربية ومن بعض

المسؤلين عن الاعلام بكل اخلاص وبكل صدق الا اننا للاسف لا نزال نرى الاعلام العربي يتخبط في كثير من الاحيان وتكون له سلبيات مردودها ذو اثر سيء على السمعة العربية ككل ومهما بذل من جهود خارجية فانها لا شك ستتعثر اذا لم يكن منطلق الاعلام العربي منطلق صحيح متعاون متكاتف اذا لم يحسن الصورة بحيث تكون مشرقةعنهداخليا قبل ان تكون خارجيا.

انا اعتقد ان الجهود التي بذلت باءت بالفشل ، ولكن المشكلة انك عندما تنظر اليوم الى مستقبل الاعلام العربي لا تستطيع في الحقيقة ان تتفاءل كثيرا اذا لم تعد الاسس السليمة ، واذا لم يشعر جميع الاعلاميين العرب بان الحوار الصادق البناء يجب ان يحل محل كل الخلافات وكل المهاترات التي تفرق ولا تجمع والتي تشتت الجهود وتسيء الى السمعة العربية ككل .

هناك مثل طيب يمكن ان يعطي على كيفية نجاح الاعلام العربي وكيفية وصوله الى اهداف نبيلة ... عقب حرب رمضان مثلا عندما انتصر العرب جمع شتات الاعلام العربي كله واصبح قوة ومثل طيب ، وبدأ العالم يسمع عنا في كل مكان وفي كل جزء فيه مجهود اعلامي عربي صارت هناك وحدة وصار هناك اتفاق ، وصار هناك صورة مشرقة وكفت المهاترات وكفت الخلافات .. وبدأ الاعلام العربي يعطي صورة مشرقة عنا في تلك الفترة نعتبر ان الاعلام العربي كان في قمته لسبب انه كانت الاهداف متحدة وكانت القلوب متحدة ، وكان كل شيء ينشأ هو حقيقة منشأه الاخوة العربية الصادقة والاهداف المشتركة الاساسية .. هناك اختلافات في السياسات العربية هناك اختلاف في القضايا ، ولكن كما قيل اختلاف الرأي لا يفسد للود عقيدة انما ان تنعكس هذه الخلافات بحيث تظهر على السطح وبحيث يفشل رجال الاعلام في كبت جماح النفس ، وكل ما ينشأ خلاف بين دولتين استغل ذلك لنشر الغسيل ولاثارة الخلافات المختلفة فانذلكبلا شك يسيء الى السمعة العربية ، ولا يعطي الصورة الصادقة والمشرقة .

وانا احمد الله سبحانه وتعالى ان اقول بلا فخر ان المملكة العربية السعودية ، امتازت ولله الحمد باعلام متزن ، ومهما نشأت خلافات ، ومهما حدث تباين في وجهات النظر ، لا نسعى الى استغلال اعلامنا بأي حال من الاحوال يوجه ضد اي دولة صديقة .. بل كان لنا والحمد لله مواقف مشرقة ومشرفة في كثير من الاحيان في جمع شتات الكلم لاننا نؤمن بان الحوار الصادق البناء هو الوسيلة الاساسية لحل مثل هذه الخلافات .

فمجمل القول لابد ان نعترف بان الاعلام العربي تعثر وان امامه شوط كبير ليثبت انه قادر على ضبط النفس وعلى وضوح الرؤيا وعلى التأكد من ان اي جهد يبذل في الاعلام الخارجي ليس له قيمة ما دام الاعلام العربي داخليا بهذه الصورة ، لان الناس تتلقى الانباء من اذاعات عربية وصحف عربية فاذا كنا نعطي صورة غير صحيحة وغير صادقة ومنفصلة عن بعضها فيجب ان نتأكد اننا من الصعب ان نجتذباحترامالعالم لنا وتقديره في وقت نتصارع فيه ، وتظهر هذه صورة انفعالات بدل ان تكون مبنية على اسس سليمة وعلى نقاط وعلى حوار بناء ودقيق ..

هناك ايضا سلبية بلا شك مسؤل عنها الاعلام العربي وهي تعريف العرب ببعضهم بلا شك انه امر مؤلم جدا ان تسأل الشباب لا يعرف عن دولة عربية بجوارنا لا يعرف عن قضايا عربية لا يعرف عن اسماء عربية ساهمت مساهمات فعالة في نهضة الامة العربية وتاريخها .

ان على الاعلام العربي دور كبير في ربط هؤلاء الشباب بماضيهم بثقافتهم ، وايضا بحاضرهم .. ان يعرفوا عن بعض ولذلك له دور كبير وانا اعتقد ان هذه سلبية كبيرة جدا لاننا من النادر ان نرى جهودا اعلامية تبذل في هذا الصدد .. وهذه الحقيقة امر لا

اعفي منها لا الصحافة العربيةولا اجهزة الاعلامالاخرى كالاذاعة والتلفزيون ولا حتى ايضا السينما .. لم تبذل جهود اساسية في هذا الصدد وبقي العرب يجهلوا عن بعضهم البعض وربما تأتي في يوم من الايام فرصة لندعو الشاعر البحريني عبد الرحمن رفيع فيقرأ لكم قصيدة عن البحرين بحق اعتبرها من الروائع .. وللاسف لا احفظها لكنه كان في مؤتمر عربي كبير للاعلام وكان عدد ممن لقيهم من الاخوان يسأله اين البحرين ؟ وماذا يوجد في البحرين ؟ وفي اي اجزاء العالم العربي البحرين .. ؟ فتألم كثيرا من هذه القضية وعمل قصيدة رائعة اوضح فيها ان جهلناعن بعضنا يعتبر جهل فاضحومؤلم وقصور كبير في الاعلام عدم اهتمامنا بجغرافية واقتصاديات بعضنا .. كثير من الشباب العربي لا يعرف عن الدول الاخرى الا بقدر ما لديها من بترول ، وبقدر ما لديها من عدد سكان او اشياء سطحية جدا،لايعرف عن هذهالامةالتي هو جزء لا يتجزأ منها .

والحقيقة هذا امر مؤسف الان ان يحدث في وقت تتصل فيه الدول العربية ببعضها بواسطة الاذاعة والتلفزيون وبواسطة الاقمار الصناعية وغير ذلك ، وفي السابق كان العرب يعرفوا عن بعضهم يقرأوا عن تراث بعضهم يتحدثوا عن شعر شاعر من هنا او شاعر من هناك .. من المؤسف ان تكون هذه ردة ولا يكون تقدم وبالعكس في عصر الاتصال اصبحنا نفتقد الى اي دور من هذه الاتصالات الايجابية .

ومن النادر ان نصادف اجتماعات عربية مثمرة ولقاءات كبيرة .. نفس الشيء اليوم اذا اردنا ان نتحدث عن الاعلام الاسلامي نفاجأ بأن الوضع اكثر ايلاما واشد وطأة لان كثيرا من شبابنا اذا طلبت منه ان يعد عليك اسماء الدول الاسلامية لايعرفها فضلا عن ان يعرف مواقعها طبعا ما يعرف تاريخها ، فهذا شيء تقع مسؤلياته في الحقيقة على العاتق الاعلامي في الدول الاسلاميةلانه من الواجب انيعرفوا عن بعضهم .

ومن النادر ان نرى التقاء للاعلام الاسلامي ،اللهم الا في الدعوة التي تعملها سنويا وزارة الاعلام في المملكة العربية السعودية في موسم الحج وندعو اليها اعلاميي مختلف الدول الاسلامية ليلتقوا وينقلوا مشاعر الحج وتكون لقاءات مثمرة ولقاءات طيبة اما غير ذلك فمن النادر ان نسمع عن لقاءات اعلامية .

ووكالة الانباء الاسلامية لا زالت الى الان لم تؤد الدور الذي انيط بها لانها تنقصها كثيرا من الامكانيات واهم من الامكانيات ينقصها الاهتمام من جانب الاعلاميين في الدول الاسلامية والشعور بأن هذا الامر ممكن ان يكون ذو جدوى .

ايضا الاذاعات الاسلامية الان بدأت تتحركوبدأنا نتفاءل ان شاء الله بمستقبل مشرق لهذا لكن الاطار العام يبقى ان هناك ضعف في الاعلام الاسلامي عن بعضنا نجهل كثير من الحقائق عن بعضنا البعض وهذا شيء مؤلم لانه كان من واجب الاعلام الاسلامي انيعمل

صحيح ان الدول الاسلامية تعرف الان وباستمرار عن المملكة العربية السعودية اشياء كثيرة جدا ولكن هذا لا يكفي لان من فضل الله سبحانهوتعالى ان اكرم هذه الامة بان ائتمنها على الحرمين الشريفين وشرفها بخدمة الحرمين الشريفين تهفوا اليها قلوب المسلمين من كل صوب لكن علينا ، على الرغم من وجود اذاعات موجهة لدينا بلغات مختلفة ، لغات دول اسلامية مختلفة ، لكن تبقى الصورة الاساسيةانكل بلد اسلامي كل الاعلاميين في البلاد الاسلامية يجب ان يهتموا اهتماما كبيرا بهذه الناحية وبأن يعرفوا اخوتهم في انحاء العالم الاسلامي الاخر عن بعضهم سواء في الاعلام العربي او الاعلام الاسلامي .

كما ذكرت اذا لم تتوحد الجهود فستبقىالصور ليس بالاشراق الذي نتمناه لانه لا بد على العربي وهو يثير اي نوع من الجهود الاعلامية او الدعائية عن بلد

لابد ان يدرك انه رغم ما يبحث عنها من ايجابيات لبلده فانه يجب ان لا تكون على حساب سلبيات تثار لدول اخرى شقيقة سواء عربية او اسلامية فالاعلام سلاح ذو حدين .. واذا اردت ان تستعمله كعمل ايجابي لبلدك او لنفسك فيجب ان تدرك وان تحسن استخدام هذه الاداة بحيث لا تجرح الاخرين وخصوصا اذا كانوا من ذوي القربى .. وظلم ذوي القربى اشد من مرارة واشد ايلاما للنفس .. فلذلك علينا ان نحس وان ندرك ان كل ما يبذل من جهود يجب ان تكون في اطار الايجابيات بدون ان نثير سلبيات على الاخرين

اذا تحدثنا عن اعلام الناس خارج البلاد وان الاعلام الخارجي يمكن تعريفه على انه اعلام الناس خارج البلاد عما يجري داخلها فعناصر الاعلام الخارجي ليست كلها اذاعة وتلفزيون ، بمعنى ان الناس تعتقد ان الاعلام الخارجي هو فقط ما تقدمه الاذاعة وما ينقل خارج البلاد او التلفزيون برامج التلفزيون التي تصل الى خارج البلاد او الافلام السينمائية للدول التي فيها صناعة سينما او غيرها او وكالة الانباء

في الحقيقة ليس هذا هو الاعلام الخارجي الاعلام الخارجي جهود متضافرة مكثفة يشترك فيها المواطن يشترك فيها الطالب الذي يسافر الى خارج البلاد يشترك فيها السفير الذي يعمل يشترك فيها كل من هو خارج البلاد لان – حتى تصرفك كمواطن في خارج البلاد هو جهد اعلامي .

واذا قدمنا جهودا اعلامية كبيرة او افلام اعلامية مشرقة عن بلادنا وذهب البعض يتصرف تصرفات سيئة فثق تماما قد تفسد اعمال كبيرة جدا قام بها الاعلام المرئي او الاعلام التلفزيوني او غيره .

تصرف الشخص خارج البلاد .. ما يقوم به من جهد الطالب الذي يدرس في خارج البلاد هو من الرسل الاعلامية ومن الجهود التي يجب ان لا يستهان بها ويستطيع فرد او مجموعة افراد كمواطنين مخلصين ان يقدموا ما لا تقدمه اجهزة الاعلام مجتمعة في كثير من الاحيان فاذا الاعلام الخارجي هو مجهود مكثف تتضافر فيها الجهود لاظهار هذه الصورة المشرقة .

ايضا في الداخل يزور البلاد كثير من الوفود والبعثات الاعلامية وغيرها تصرفاتنا مع هذه الوفود طريقة التعامل معها طريقة الحديث ، كل هذه الامور ايضا جهد في مجال الاعلام الخارجي لان هذه الوفود تذهب فتكتب ما تراه وما تسمعه وما تعايشه ، وفي بعض الاحيان يجب ان يدرك الانسان انه ليس من واجبه ان يتحدث عن كل شيء بصرف النظر عن انه يعرف هذه الاشياء او لايعرفها اذا كنت لا تعرفها فيجب ان تقف عند حدود معرفتك انما اذا كنت لا تعرف الحديث في تعدد الزوجات او تعرف الحديث في موضوع من الموضوعات ليست من المصلحة ان تدخل من الاجنبي او تناقشه لمجرد المناقشة لانه يأخذ منك صورة عن هذه القضية وتكون الصورة مخطئة وربما تكون انت مقل في هذه الناحية او غير عارف بها فلذلك من المصلحة ان لا تعطيه اي فكرة لا تعرفها او لا تدرك أبعادها او تأخذه الى من يعرف هذا الامر تناقشه فيه . ايضا من المصلحة ان لا تتحدث معه في كل زوايا الامور المختلفة التي يسأل عنها وتتصدى لها انت كمجيب لكل سؤال لانك قد تخطىء وقد تعطيه افكار غير حسنة عن بلادك .. ولذلك يكون هذا جهد اعلامي مضاد لان هذه الوفود تذهب وتكتب وتنشر آراءها وتعتمد على رأيك .

هناك الكثير من الادباء والحمد لله ورجال الفكر والمثقفين ويمكنك ان تحسن معاملة الاجنبي مهما كان حتى لو كان بعثة عمالية او بعثة عادية لان هؤلاء يذهبوا الى الخارج فيعطوا صورة عما يجري داخل بلادك اذا فاتت تساهم بهذه التصرفات في عمل اعلامي عن بلادك في خارج البلاد .

هناك قضية اساسية في الاعلام الخارجي نعالجها نحن في المملكة العربية السعودية وفي دول الخليج

بصورة عامة وهي موضوع الاعلام الخارجي بعدقضية البترول .. شاء الله سبحانه وتعالى انتكون التحركات البترولية الاخيرة في السنوات الاخيرة لها آثارها الكبيرة على تعريف هذه المنطقة من العالم للعالم اجمع بصورة فرضت علينا ولذلك اصبح الناس تتنادى باسم المملكة العربية السعودية والخليج بصورة عامة نعمة من الله سبحانه وتعالى انه اكرمنا وجلت قدرته اوضح لنا اذا اراد نصرنا اذا اراد دعمنا فممكن ان تكون المسائل من تحت ارجلنا من اشياء لم نكن نعلمها . كنا نسير على هذه الصحراء ولا نعرف هذه الثروة الموجودة والخير الموجود فالله سبحانه وتعالى يرينا ان نصره قريب وانه يستطيع ان ينصرنا بأي الاشياء وبأبسط الاشياء وبأشياء قد لا نعلمها نحن .. فهذا الفضل رغم ايجابياته ورغم ما افاء الله علينا من فضل ونشر هذه القضية للعالم اجمع وشعور العالم بان هذا المخزن البترولي الكبير واحتياجهم له الا ان هناك سلبية اساسية وهي انه يجب ان لا يطغى البترول على قيمنا الاساسية . ويجب ان لا ينظر اليه على انه هو الثروة الاساسية لهذه البلاد .

كانت هذه البلاد قبل البترول ولله الحمد وستظل بعده باذن الله الى ان يرث الله الارض ومن عليها ثروتنا بما اكرمنا الله سبحانه وتعالى به من قيم اساسية في عقيدتنا الاسلامية والتي كانت فيها ليس سعادتنا فقط بل سعادة العالم اجمع ثروتنا في الرجال العاملين الذين يتبنوا هذه المبادىء ويعملوا من اجلها ويستغلوا

الخير الذي افاءه الله سبحانه وتعالى على هذه البلاد ولنشر مزيد من الدعوة الاسلامية والثبات على هذه الدعوة والنظر بصورة مشرقة في هذا القرن الى كل القضايا والى كل الايجابيات التي نعيشها وعدم الانغماس في النظر ، الا ان هذه الثروة يجب ان فحسب بالعكس هذه ثروة ومسؤلية امام الله سبحانه وتعالى ومسؤلية امام العالم اجمع ولا بد ان نشعر العالم بأننا فرد في الاسرة العالمية واننا لا نتصرف في هذا البترول بأي عبث والحمد لله بل بكل مسؤلية ..

ونحرص ان ننتج وان نسوق البترول وان نحرص كل الحرص على ان تكون سياستنا البترولية سياسة متزنة لخير امتنا ولخير العالم اجمع ولم يحدث قط الا عندما اصبحت قضايانا في خطر واصبحنا مهددين في عقر دارنا .

وعندما نتحدث عن امتنا العربية وعن امتنا الاسلامية ولا ننظر الى هذا البترول كسلاح لهدم العالم بالعكس ننظر اليه كسلاح لخدمة العالم ولخدمة صناعته ولخدمة اقتصادياته .. فيجب ان يكون هذا منطلقنا عندما نتحدث عن البترول او ننظر اليه لاننا في الوقت الذي نفخر به ونعتز بفضل الله سبحانه وتعالى نشعر وندرك تماما ان علينا مسؤليات وانه من فضل الله علينا ان اكرمنا بهذه السياسة التي تبنتها الحكومة السنية وسياسة اثبتت للعالم اجمع ان المملكة العربية السعودية تنظر الى هذهالثروة نظرة ايجابية واقتصادية صحيحة وانها تعتبر نفسها فرد في الاسرة العالمية عليها مسؤليات وعليها واجبات ولها حقوق كذلك وتستخدم هذه الثروة في تنمية بلادها وفي رفاهية مواطنيها ولكنها ايضا لا تنسى مسؤلياتها تجاه اشقائها العرب واشقائها المسلمين وايضا لا تنسى مسؤلياتها في القضايا العالمية وفي مواقفها بالنسبة للمصائب التي اصابت كثير من دول العالم الخارجي وبادرت المملكة وساهمت واثبتت انها تتفاعل وتتعامل كفرد من الاسرة العالمية ، في مجال الاعلام الخارجي .. الحقيقة لنا جهود ولله الحمد كبيرة منها مجال المكاتب الثقافية والمكاتب الاعلامية التي لنا في الخارج .. ايضا هناك وفود اعلامية نبعثها بين وقت وآخر ونسميها بعثات الناس للناس .. يعني اشخاص يذهبوا يتحدثوا مع الناس في قضايا مختلفة في الاثار وفي الفنون وفي تاريخ الجزيرة في قضايا مختلفة غير الزاوية التي ينظر منها الينا .. غير الزاوية البترولية نحدثهم عن تاريخنا عن حضارتنا عن ثقافتنا نتحدث اليهم في هذا المجال وقد نجحت والحمد لله هذه البعثات الاعلامية ، ومنها من رجال الادب ومن رجال الثقافة واساتذة الجامعات

ورجال الاعمال . الحقيقة ساهم رجال الاعمال مساهمة مشرفة في هذا المجال لنا ايضا في مجال الاعلام الخارجي الافلام الاعلامية التي نعملها وتوزع عن المملكة العربية السعودية بأشكال مختلفة مع الصور والقضايا التقليدية ، الصور والافلام وغيرها وكتب اعلامية حديثة غير اننا بدأنا نتجه الى اتجاه جديد في الكتب الاعلامية واننا ننتج كتب ليست كتب الدعاية عن الصناعة او غير ذلك انما بدأنا نتحدث عن الزهور في المملكة العربية السعودية ، الحيوانات البرية في المملكة العربية السعودية ما حققته الصناعة والمراحل التي تمر بها ايجابيات اساسية .

بدأنا في افلامنا ننتقل من مرحلة تصور المباني وغيره الى تصوير حقائق عن الناس ، كيف يعيش الناس قيمهم مبادئهم ، الكثير من قيمنا ومبادئنا يفاجأ بها العالم .. عندما يطلع ما يراها خصوصا في كثير من دول العالم حيث طغت الحضارة المادية بصورة كبيرة جدا وبحيث اصبح الاب عندما يكبر في سن معينة يرسل الى دار العجزة وقد لا يرسل له ابنه الا كرت اذا تكرم عليه في عيدمن اعياد الميلاد او غيره .. يفاجأ بالقيم عندما نحدثه ما معنى الامومة عندنا وكيف ان الانسان كلما كبرت امه عنده يسري عنها ويتغزل كلما طلعت شيبة جديدة في شعرها .. يتغزل بها يشعر بالسعادة ويكون بجانبها هذه قيم العالم في حاجة الى ان يعرفها وفي حاجة الى ان يعرف انها تمارس في هذه البلاد اكثر من ان يعرف ان هناك فيها مباني طويلة او مباني قصيرة لان هذه المباني بالنسبة له ليست شيء جديد انما بدأنا نتجه الى تعريفه بقيم حضارية عن هذه البلاد وعن نهضتنا .

ما اريد ان اطيل في مجال الاعلام الخارجي ... اترك لكم فرصة بعد ذلك في اثناء تساؤلكم في مجال الاعلام الخارجي او في مجال الاعلام الداخلي اقول ان هناك كما ذكرت الاذاعة والتلفزيون والصحافة ووكالة الانباء ..ايضا قصة المطبوعات ومراقبة المطبوعات عليها مرور انما بالنسبة للتلفزيون اذا بدأنا بهفمشكلتنا هنا في المملكة العربية السعودية بالذات هي انه رضاء الناس غاية لا تدرك ومهما حسنا في برنامج التلفزيون فانا اقول بصراحة اننا حرصنا كل الحرص على اعادة تنظيم برامج التلفزيون وتطويرها وتغذيتها بكفاءات اغراء الادباء والمثقفين للكتابة فيها على الرغم من ذلك فيه صعوبة ارضاء الناس ليست لانه في الخارج في الغالب ان يكون الناس لها برامج مخصصة .. فيه بعض الاشخاص يحب برامج المصارعة نجده يحرص عليه ويأتي‌له .. فيه شخص يحب برنامج الرياضة او برامج مسرحيات معينة يحرص عليها او فيه شخص يحب الاخبار او برنامج غنائي .. ولذلك كل يختار الشيء الذي يناسبه انما نحن قضيتنا فيه ناس تجلس من العام للعام في التلفزيون فكيف يمكنني ارضيه انا طول الوقت ما يمكن تتفاوت القضية تتفاوت الاذواق . ولذلك من الصعوبة ان نرضي اذواق الناس في الوقت نفسه ينسى الناس ان لنا ظروف معينة ، لنا قيم ، لنا مبادىء تختلف عن اي تلفزيون آخر .. فلا بد في اطار التوجيه في اطار التثقيف في اطار التسلية ان نحرص على ان تكون في اطار السياسة التي تسير عليها الدولة . هذه مشكلة التلفزيون .. انما نحاول ان نعالج هذه المشكلة في المستقبل بالقناة التلفزيونية الثانية .. الا ان اجهزة الاعلام تعمل على اساس استكمال انشاء القناة التلفزيونية الثانية ، ان شاء الله بحيث يكون عند المشاهد اختيارات اذا كان هناك فيه برنامج رياضي وهو غير مسرور منه يستطيع ان ينتقل الى قناة اخرى ليرى فيها ما يسره في هذا المجال اذا كان ناسبه المشروع الاساسي بلا شك وهو ايصال التلفزيون الى جميع اجزاء المملكة سيتم هذا ان شاء الله في المرحلة الاولى الان خلال ستة اشهر القادمة .. ان شاء الله سيكون هناك بث تقريبا لمعظم المملكة بالتعاون مع وزارة البرق حيث ستأتي ان شاء الله الاقمار الصناعية وتتصل بجميع اجزاء المملكة بواسطة الاقمار الصناعية .. وهذه المحطات سيكون بجوارها محطات تلفزيونية تنقل للجميع وستكون هناك قناة موحدة لجميع المملكة ، يعني بمضي مدة قصيرة من الان

ستشاهد الرياض وجدة والدمام والطائف وكل المناطق مربوطة مع بعضها ايضا وبقية اجزاء المملكة ، القصيم الان مربوط بواسطة الاخبار وسنسعى ان شاء الله الى ربطه كاملا فعند انشاء القناة الثانية وتوسيع البث الى جميع اجزاء المملكة ستكون هناك فرصة اكبر لتطوير التلفزيون وتنمية طاقاته .

من ناحية الصحافة واترك الاذاعة للاخير لانه الحق بالنسبة للصحافة يمكن يختلف معي الكثير من الناس لكن انا اقول بصراحة ان ماضي الصحافة خير كثير من حاضرها في بعض زواياه .. طبعا حاضر الصحافة يختلف اليوم بالاخراج الصحفي وبغيره .. انما ماضي الصحافة ومساهماتها كانت ايجابية كبيرة جدا كانت الصحافة تهتم بالثقافة اهتماما كبيرا جدا . تهتم بالادب ، توليه اهتمامات كبيرة جدا . اليوم يمكن صحيفة او اثنين فقط استثنيها لها جهود خاصة في هذا المجال والا بقية الصحف تمر عليها مرور عابر فلا تجد اهتمامات كبيرة بهذه الناحية ولا اجتذاب لكفاءة كبيرة كالكفاءات التي كانت تكتب في صحافتنا والتي كانت فعلا .

عندما نرجع اليوم لبعض اعداد قديمة لصحافتنا تذهل بما تجده من بحوث وآراء .. طبعا هناك رأي هو ان الاذاعة والتلفزيون وغيرها من الاجهزة اثرت على الصحافة سلبا وايجابا . وكما رأينا ان الاذاعة اثرت على الصحف ثم التلفزيون اثر على الاذاعة حتى ان الاجهزة الحديثة اليوم الفيديو وغيرها تؤثر على التلفزيون. لكن تبقى قضيةاساسية وهي ان الصحافة في الماضي كانت جهودها اكبر في مجالات الثقافةومجالات الادب ولوا ن الذي يدعو للاعتزاز اليوم ان هناك قفزات صحفية في كثير من صحفنا على الرغم من اني اقول بكل صراحةانها علىحساب العاملين في المؤسسات الصحفية لان الكثير من الناس يجعل المعاناة وما يقاسيه هؤلاء في مجال الصحافة لكي يحصلوا على الخبر لكي يقنعوا كاتب بالكتابة .. كثير من الشباب العامل في الصحافة بصراحة يحترق دون ان يجد حد الكفاف في بعض الاحيان وربما يفقد تقديره الملائم لجهوده ... الشباب الذين يعملون في الصحافة الكثير منهم ينطبق عليه جنود مجهولين غير ان اكثر من ذلك لا اقل ان الجندي محترم اطار عمله . هؤلاء في بعض الاحيان لا يلقوا الاحترام الكافي ولذلك من واجبنا ان تكرم ... ومن واجبنا ان ندرك اخطاؤهم وندرك انهم من المتوقع ان يخطئوا لان هذا عمل حساس ولان كلمة يلقيها فيخطىء وتصدر الصحيفة ولا يستطيع تعديلها .. لابد ان نعطيهم التقدير الكاف ونشعرهم بأننا نقدر كل جهودهم والا ستفاجأ بمرور الزمن من هروب هذه الكفاءات المحدودة في مجال الصحافة لاننا لا بد كمواطنين ان نكرم هؤلاء ونتعاون معهم وانا احمد الله سبحانه وتعالى ان الدولة ممثلة في حضرة صاحب الجلالة الملك المعظم وسمو الامير فهد التفتت لهؤلاء في المرحلة الاخيرة وبدأت في دعم المؤسسات الصحفية وفي تنمية طاقاتها وان شاء الله الخطوات القادمة تكون افضل واحسن .

الا ان الصحفي لابد ان يلقي التكرم من المواطنين ايضا وانا ادرك ان عليه مسؤليات كبيرة في ان يكونوا دقيقين فيما ينقلوا ، فيما يكتبوه ، ان يدركوا مسؤلية وعظم مسؤلية القلم الذي يحملوه عليهم مسؤليات كبيرة ولا اعفيهم من اخطاء كثيرة .. لكني ايضا اتطلع الى تكرم المواطنين والى شعورهم بايجابية هذا العمل الذي يقومون به .

في مجال الصحافة اريد ان اقول بالاضافة الى المعاناة التي يعانوها انه حدث الكثير من التطور والكثير من القفزات في الاخراج وفي الخبر في مجالات مختلفة وكان لهؤلاء الشباب وحدهم لهم الفضل في هذه الامور ولذلك انا اتوقع انه باذن الله سيكون للصحافة فيبلادنا شأن..ويكون لها مستقبلمشرق ان شاء الله بمزيد من التعاون ومزيد من الصبر لهؤلاء الصحفيين وشعورهم باننا جميعا نبني البلاد ونتعاون في سبيل دعم هذا الصرح الذي سيكون يوما بعد يوم شامخا متعال باذن

الله راسيا على اسس صحيحة بالعقيدة باذن الله تعالى

هناك خطوات لا زالت وزارة الاعلام تدرسها وهي ان لابد ان يكون للصحافة في بلادنا صحيفة او صحيفتين اساسيتين أي تتحدث عن القضايا الاساسية او ثلاث صحف ، انما ان نحاول ان ننتقل الى صحافة المناطق صحافة المدن بحيث ان يكون هناك صحيفة محلية للطائف ، هناك صحيفة محلية للرياض هناك صحيفة محلية لجيزان هناك صحيفة محلية للقطيف ولتبوك هذه الصحيفة تهتم بالقضايا المحلية باحداث المدينة يلتقطها المواطن في المدينة في الصباح يجد كل الاخبار التي يحتاجها واذا احتاج الى غير ذلك من القضايا الاساسية يستطيع ان يشتري الصحيفة الاخرى .

لا زلنا نفكر في هذه القضية ولا زلنا نحاول دراستها بأبعادها بحيث ربما تكون فرصة جديدة لتنمية طاقات وكفاءات داخل المدن صحفيين كثيرين لا يتأتى لهم العمل في الصحف الكبرى ، تنمي الطاقات وتغذيها ولا زلنا ندرس هذه الفكرة ونرجو ان نوفق في اخراجها اخراجا صحيحا ان شاء الله وبلا شك سينتج عن ذلك اذا تمت الدراسة ربما ايضا دمج بعض الصحف في بعضها وتكثيف طاقاتها بصورة او باخرى غير ان هذا كما ذكرت عرضة للدراسة وغير ذلك .

ايضا احببت ان اقول رغم اني تحدثت عن المواطنين ومسؤلياتهم تجاه الصحفي . المؤسسات الصحفية تحمل مسؤلية كبيرة لانه من واجبها ان تنمي الطاقات المادية للعاملين فيها ، تحرص على تطويرهم واعطائهم دورات مختلفة ، تتعاون مع الجامعات ، والجامعات تفتح صدرها الرحب لاستقبالهم واعطائهم دورات في مختلف الفنون الصحفية والخبر وغير ذلك لانه بتطوير طاقاتهم نستطيع ان نستفيد منهم ونستطيع ان نطور امكاناتهم .

فيه سؤال دائما يتبادر عن موضوع حرية الصحافة وقد ذكرت في اكثر من مرةبان حرية الصحافة مضمونة للجميع وجميع الصحف لا تراقب من قبل وزارة الاعلام قبل صدورها .. تصدر على مسؤلية رؤساء التحرير ولكن نعرف حرية الصحافة بانها حدود الحرية التي تتيحها سياسةهذه البلاد لمواطنيها والتي ترتكز على الشريعة الاسلامية . اذا تهجم على انسان فهذا لا يستخدم حرية الصحافة .. هذا تعدي على حرية الاخرين .. اذا انسان كذب على انسان هذا لا يستخدم حرية الصحافة .. استغل مركزه لاهداف غير شريفة .

اذا حرية الصحافة محدودة ابعادها وعندما نحد حرية اشخاص بانهم لا يتهجموا او لا يكذبوا او لا ينشروا اشياء غير صحيحة فنحن عندما نحد حريته هو لوحده بنمنحه حرية الاخرين جميعا نمنعهم ايضا من انتهاك حقوقه ، فلذلك لابد ان ينظر على ممارسة هذه القضية لانها لابد ان تكون على اسس سليمة واي خروج عن هذا الاطاريخرجهاعناطار الحريةالممنوحةله

هناك في نهاية الحديث اتطرق الى موضوع نرى مستقبل الاعلام سواء في بلادنا او في منطقتنا عموما او في العالم اجمع .. لابد ان ندرك ان الاجهزة الحديثة بدات تتطور بشكل كبير جدا .. وبدأ العالم يتصل اتصالات مباشرة ببعض .. اليوم بواسطة الاقمار الصناعية ينقل الخبر التلفزيوني والفلم التلفزيوني بصورة سهلة وميسرة وحدث امريكا يمكن ان ينقل في نفس اللحظة وفي نفس الثانية الى المملكة العربية السعودية كما شاهدتم احداثا في السابق .. مباريات وغيرها واحداث سياسية وغيرها .

الصحافة اليوم تنقل من مدينة الى مدينة في نفس الدقيقة .. صحيفة تصدر في لندن وتصدر فينيويورك في نفس اللحظة .. صحفنا ندرس اليوم فكرة

اصدارها في الخليج بواسطة الاجهزة في المرحلة القادمة باستخدام الاقمار الصناعية ستتيح لمشاهد التلفزيون ان يرى اكثر من قناة من اي مكان في العالم . ان تطور الاجهزة بسرعة كبيرة جدا قضايانا الاعلامية وعدم الغفلة عنها لاننا اذا غفلنا عنها فان الغير يستخدمها وسيستخدمها ضدنا فلا بد ان نحسن استخدام هذه الاجهزة ولا بد ان ننظر الى المستقبل بفعالية ونتابع الاحداث ونتفاعل بكل ما ينتج من جديد في العالم لنوظف هذه الاجهزة لخدمة قضايانا الاعلامية الشريفة والا فانها ستستخدم ضد اتجاهاتنا وضد رغباتنا وضد ميولنا .

لذا لابد ان ندرك ان توظيف هذه الاجهزة شيء اساسي لكن نوظف الكلمة الصادقة والاعلام الصادق ولا بد ان لاننتظر الى ان يغزونا العالم باعلامه ويغزونا باجهزته ثم نبدأ عندها مرحلة التفكير لابد ان نتفاعل ونتجاوب ونعمل حتى تكون كلمة الله هي العليا ان شاء الله دائما .

ايضا لابد لنا ان ندرك ان لنا في هذه البلاد وضع خاص وعلينا مسؤليات كبيرة جدا لعالم ينظر ويتطلع الى ان يكون اعلامنا ايجابي متزن مبني على اسس سليمة ومبادىء ثابتة مستمدة من الشريعة الاسلامية فعلينا ان نحرص ان نكون في هذا المستوى .

واعلامنا في المملكة العربية السعودية يحرص كل الحرص على ان يكون متتبعا لهذه الخطوات ولكننا نعترف بالقصور ونعترف بان الشوط امامنا كبير وان علينا ان نواصل الجهد ونواصل العمل ليل نهار ونجتذب المزيد من الكفاءات للعمل في الاجهزة الاعلامية حتى نستطيع ان نفخر باناعلامنا ان شاء اللهفيالمستوى المطلوب الذي نرضاه نحن قبل العالم الذي ينظر الينا

ولكن في اطار ما نعيش فيه من قصور ومن تقصير لنا امل كبير في رحمة الله سبحانه وتعالى وفي عونه لان الله سبحانه وتعالى يعلم اننا نحرص كل الحرص على رضائه حتى ولو سخط الناس .

ولكن ظروف العمل الاعلامي وتشعبه توقعنا في كثير من الاخطاء وما ابرىء نفسي ، ان النفس لامارة بالسوء وسؤالي الى الله سبحانه وتعالى ان يوفقنا في اعلامنا الى بلوغ اهداف شريفة وتحقيق اعلام مشرق نفخر به يترجم الكلمة الصادقة ويبنى على اسس سليمة من العقيدة ان شاء الله .

وشكرا لكم جميعا .. واعرب من اسفي اني قد اطلت عليكم .

والسلام عليكم ورحمة الله .

الشلال

ممدوح مولود

قال : هلا رمقتها .. فهي أبهى نسل حواء فتنة وجمالا

قلت : من ذا تكون ؟ هل هي حقا مثلما قلت روعة وجلالا

قال : تلك الشقراء .. ويك ألا تمضي اليها لتشهد الشلالا

ومضى يعرض المحاسن فيها ويثير السؤال والتسآلا

ولقد مال قائلا لي بهمس ما سواها يثير فيك الخيالا

ان هذي الشقراء فاتنة الآداب سحرا ورقة ودلالا

انها اجمل الجميلات حسنا وسنا فتنة تهز الجبالا

خلت ان التشبيب اغرى صديقي فلقد فاض في الثناء وغالى

قلت : اشعلت بي التلهف حقا ولعمري ما عدت اقوى احتمالا

لكأني امام آية حسن مثلها الله لم ينمق مثالا

ودفعت الخطى اليها وئيدا فلعلي أرى الكمال المحالا

وتوقفت راثيا في ذهول أتملى جمالها اجلالا

هي حقا جميلة ... ولعمري ما غلا قط صاحبي استرسالا

القوام المشوق يشبه املودا رغيدا أراه تاه اختيالا

الصبا الناضر البديع ربيع ينشر العطر والورود ظلالا

شعرها الحالم المهفهف انسام رطاب تفيض سحرا حلالا

العيون المغردات دواوين من الشعر تسكر الاجيالا

الشفــاه المـرفهــات خمــور جـال فيهـا الصبـا الوريف وصـالا

النهـود الظمـاء في الصـدر اطيـار اسـارى تقـاوم الاغـلالا

الجبين المعتـد رايـة مجـد حـولها الفخر قـد زهـا وتعالـى

خلت اني قـد مسني بعض سحر فقـد امتـد بـي الشرود وطـالا

لكـأنـي امـام آيـة ابـداع لهـا الفـن ينحنـي اجـلالا

لـو رأى حسـنهـا الملألـيء مثـال لأهـدى جمـالهـا تمثـالا

غير انـي لـم اخفض الرأس يـومـا مـا لكبـر ليمعـن اسـتفحـالا

اكبرياء الفنـان ارفـع دومـا مـن خشـوع بـه يهـون انخـذالا

ولعـل الحسان الجميلات يجهلن انـي لسـت مـن ذا يجثـو لهـن ابتهـالا

انا نـاي الجمـال شاعـره الشـادي ، وكـم ذا به سـكرت انتهـالا

للغـواني الحسـان كـل دواويـنـي ، وكـم ذا بهـن همت ارتحـالا

غير انـي ما بعـت شعـري يـومـا عزة الفـن ان يتيـه جـلالا

كـم مـن الحسن قـد غمـرت بألـوانـي وأبـدعـت رسـمهاشـكالا

ولكـم ذا بـريشتـي رحـت اضفـي مـن جمـال يتيـه .. يـزهـو دلالا

وعلـى الغيـد كـم نشرت جنـاحـي فتبـاهـين وازدهـين اختيـالا

وتعـالـين بالغـرور ... كـأنـي لسـت مـن اغـرق الجمـال خيـالا

ان مـن يعشـق الطـواويس يلقـاهـا تعـالت ، وحـق ان تتـعالـى

فـالجمـال المغـرور داء وبيـل سـوف يبقـى مهمـا ابتـدعت وبالا

فلتكفكـف حـواء كبـر غـرور ان هـذا الغـرور يمحـو الجمـالا

محمود تيمور

ثروت اباظه

ولد محمود تيمور في حي درب سعادة سنة ١٨٩٤ في اسرة تهتم بالادب والعلم غاية الاهتمام . فأبوه العلامة المحقق احمد تيمور باشا وعمته الشاعرة الشهيرة عائشة التيمورية واخوه القصصي المسرحي محمد تيمور

في هذا البيت وفي ظلال مكتبة من اغنى مكتبات مصر نشأ محمود تيمور وقد زاد من تفتح ذهنه في بواكير حياته ان اخاه محمد قصد الى فرنسا لاتمام دراسته العالية وقضى هناك سنوات ثلاث ثم عاد بـآراء الحضارة الغربية في الادب والمسرح وراح يبشر بهذه الاراء فكان اخوه محمود من اكبر انصره والداعين الى دعوته .

وكانت اهم عناصر الفكرة التي يدعو اليها الاديبان المصريان هو انشاء ادب مصري مبتكر يضرب بجذوره في الحياة المصرية ويستلهمها ويأخذ منها ويعطي لها .

وهكذا راح محمود تيمور يكتب قصصه من واقع الحياة المصرية الصميمة فهو يتعمق من المدينة فيها الى القرية ويجري قلمه في رسم هذا الواقع رسما فنيا دقيقا متأثرا بجى دى موبسان وتشيخوف مستمدا منها القالب ومن بلاده المضمون .

وقد كان اغلب كتاب الجيل الذي نشأ فيه محمود تيمور كتاب يكتبون القصة فيما يكتبون ــ اما تيمور فقد قصر نشاطه لسنوات طويلة من حياته على القصة

وقد كان في كتاباته جميعا غير متقيد بمذهب معين وانما هو حر طليق من كل افكار تقيد فنه . وهو ينقل الحياة كما يرى الحياة يجرب ويعدل عن التجربة او يستمر فيها كيفما يترآى لفنه . فهو اليوم مثلا من اشد الداعين الى اللغة العربية حتى لقد أنشأ كتابا عن الفاظ الحضارة يحاول به ان ينقل الى اللغة العربية ما استحدثته الحضارة من مخترعات حديثة . وهو نفسه الذي كتب باللغة العامية منذ سنوات . انه دائما يجوب ولا يستكبر ان يعدل مادام في عدوله ما يريح نفسه الفنانة المتوثبة الى انطلاقة الفن ومعناه الرفيع

وقد تجاوزت كتب محمود تيمور الخمسين كتابا ترجم منها الكثير الى اللغات الاجنبية فان الباحث في تاريخ القصة المصرية لا يستطيع ان يسير في البحث ان لم يكن انتاج تيمور تحت عينه فهو من العلامات الكبرى في تاريخ القصة المصرية .

ومحمود تيمور الانسان لايبحث عن فنه ليكتبه فقط وانما هو يبحث عن الفنان الجديد حيثما يبزغ الفنان الجديد فليس بين ادباء القصة في مصر من لم

يظفر بتشجيع تيمور ادبيا كان هذا التشجيع ام ماديا فجميع كتاب القصة يحسون حين يلقونه انهم يلقون ابا لهم يتفهم ادبهم ويحبه ويتمنى له النمو والتفوق والازدهار .

ومحمود تيمور عضو بالمجلس الاعلى لرعاية الفنـون والاداب والعلوم الاجتماعية بالمجتمع اللغوي مع زملائه طه حسين ، توفيق الحكيم ، عزيز اباظه . ولعل ما قاله عنه الدكتور طه حسين يوم استقبله بالمجمـع يعطي صورةصادقةعن مكانةمحمود تيمورفيادبناالعربي

وسبقت انت الى شيء لا اعرف ان احدا شاركك فيه في الشرق العربي كله الى الآن . واذا ذهب احد مذهبك او جاء احد فيما بعد بخبر مما جئت به فلن يستطيع ان يتفوق عليك لانك فتحت له الباب ومهدت له الطريق ويسرت له السعي واتحت له ان ينتج وان يمتاز .. هذا الذي تفوقت فيه وامتزت وسجلت به لنفسك خلودا في تاريخ الادب العربي لا سبيل الى ان يمحي هو القص على مذهبه الحديث في العالم العربي وانك لتوفي اذا قيل انك اديب عالمي بأدق معاني هذه الكلمة واوسعها ولا اكاد اصدق ان كاتبا مصريا مهما يكن شأنه قد وصل الى الجماهير المثقفة وغير المثقفة لما وصلت انت اليها فلا تكاد تكتب ولا يكاد النـــاس يسمعون بعض ما تكتب حتى يصل الى قلوبهم كما يصل الفاتح الى المدينة التي يقهرها فيستأثر بها الاستئثار كلـــــه .

وقال عنه الاستاذ فريد ابو حديد :

انه يرسم الاشخاص حتى انك لتحس انفاسهـم وتلمح الحياة في سهولة حركاتهم وهو يكتب في لغــة سلسة لا تحجب شيئا من معانيه وان فنه يشيع فيه روح وديع من الانسانية . فهو يخدم الادب من ناحيتين الاولى انه يشير الى مثله الاعلى الانساني ويصوره لنا في صورة البارعه والثانية انه يعرفنا بالجانب الذي يعرفه من مجتمعنا المصري . فهو من معلمي هذا الجيل وهو عامل العوامل القوية على تعريفنا بأنفســـنا .

وكتب عنه المستشرق المجري عبد الكريم جرمانوس

يسمو محمود تيمور عن الكاتب الروائي المجرد الى مصاف الفلاسفة الادباء ومعلمي الثقافات بما يقدم من امثلة انسانية ترمي الى اهداف رفيعة . وتنعكـــس شخصية تيمور الخيرة العطوف في اخلاص تام علـى ما يكتب وانه ليرسم شخصيات ابطاله في وضـــوح وصدق واخلاص ويسمو بهذه الشخصيات من اجواء التعاسةوالهوانلتجد هدفها الحقيقيفيالحبوالجمال .

التجديد والانبعاث

في الادب العزبي السعودي

لم تتبوأ الحركة الادبية ، مكانها اللائق على أرض المملكة العربيـة السعودية ولم تنل نصيبا كافيا مـن التقـدم والازدهار ، الا بعـد أن تهيأت لهـا الظروف الاجتماعية والسياسيةوالثقافية والاقتصادية المناسبة ولم تتوفر هـذه العوامل مجتمعة الا بعـد أن توطدت الامور للحكم السعودي واستقرت البـلاد للسعوديين وتوحدت أصقاعها المتباعدة .

فقد أهلت تباشير الحركة الادبية في المملكة العربية السعودية في نهاية الربع الاول مـن القرن العشرين ، وأخذت تتشكل حالـة من التكون والانبعاث ، لتـدب وتسري في كل شيء ، فتبعث في أوصالها نسغ الحياة، فهذه بيئة سياسية جديدة في ظلال روح دينية أصيلة بعيدة عن البدع والخرافات تستقطب أبنـاء الجزيرة العربية بمسيرة حق هادفة خـير الجميع دون تمييز ، وتلك نهضة اقتصادية شاء لها الله أن تتفجر بين يدي العاهل الكبير عبد العزيز آل سعود لتعم المملكة وتدفع بها على دروب التقدم والرفاهية ، وهنا تتكون وحدة جغرافية تاريخية شاملة تنتظم أرجاء الجزيرة العربية وتحبك أطرافها بعد فرقة وتشتت وضياع ..

وتحت تأثير طرقات هذه العوامل مجتمعة ، والتي أملتها ظروف المرحلة الجديـدة التي هيأها الملك عبد العزيز وعزز مكانتها وارسى قواعدها ، بـدأت تتكون حركة أدبية ناشطة ، فهذه صحافة تغمر البلاد وتغطي اخبارها وتفتح صدرها للزاحفين على دروب النهضة والارتقاء وتدفع بانتاجهم للنشر والقراءة، وهذه اذاعة لأول مرة في تاريخ البـلاد يتبعها تلفزة تغطي شبكـات ارسالها البلاد كلها فتعظ وترشد وتوضح للناس طرق الفلاح والرشـاد ، وحركـة تعليمية واسعة النطـاق ومدارس تحدث ودور للعلم تشاد ومكتبات تبنى ومطابع تقام ، زخم حضاري يكنس كل ما تراكم في طريقه من غبار الايام وعثار الزمن وكسل القرون ..

ونستطيع أن نـؤرخ لبدايـة التجديد في الحركة الادبية على أرض المملكة العربية السعودية التي أخذت شآبيبها تظهر وبواكيرها تينع ، وذلك في أعقاب الحرب العالمية الثانية ، على شكـل انتفاضات فكرية وأدبيـة ضمن اطار شامل لحركة تكون ، وانبعاث واسعين .

وراحت هذه الحركة التجديدية تبحث لنفسها عن كيـان وملامح وسمات تحدد لهـا هويتها الشخصية وذلك من خلال وحدة وطنية تنتظم أنحاء المملكة كلها ، تظللها راية العقيدة الاسلامية ، وتوشحها روح العروبة الاصيلة، وتخيم عليها وحدة التراب والتاريخ المشترك ويدفعها نسغ الحياة الذي دب في كل شيء ، وحركـة التطـور الشامل لمرافق الحيـاة التعليمية والصحية

والاقتصادية والاجتماعية والعلمية والسياسية كلها .

وأخذ الادباء السعوديون يبحثون عن المواقع الملائمة التي يجب أن يتخذوها لانفسهم ، كي يحددوا مواقفهم الانسانية من حركة الحياة التي راحت تسعى من حولهم، وبرزوا وعيهم لهذه الحياة النشطة، وشكل رؤيتهم لها من خلال المعطيات الجديدة للمجتمع العربي السعودي المسلم الجديد .

وبدأ الرعيل الاول من الادباء في المملكة العربية السعودية يعبر عن هذا الوعي من خلال هذه التغيرات الهائلة ، وعن تلك الرؤية الواضحة للمتغيرات الحياتية تعبيرا ممتازا في أكثر الاحيان ، ينسجم مع تجارب الاديب الفنان في المجتمع السعودي النامي المتطور بشكل سريع ، ليواكب مسيرة الكيان الجديد الذي صنعه وأرسى قواعده وأشاد بنيانه العاهل السعودي الكبير عبد العزيز آل سعود ..

هذا الاندفاع التاريخي العابق بقصص البطولة الخارقة الذي تحقق على يد الملك السعودي الكبير فتح الابواب مشرعة أمام أفواج الشباب السعودي المتحمس لامته وعروبته ودينه، فاندفعوا حاملين راية المسؤولية الفكرية والادبية والدينية والسياسية لهذه المرحلة الحاسمة من تاريخ يقظة أمتهم ، ويؤرخون لكل خطوة من خطواتها ، ويسجلون كل خلجة من خلجاتها ، فلا تشاد دار من دور العلم الا ويخلدونها ، ولا تأتي مناسبة وطنية الا ويعززونها ، ولا يفتتح ناد من نوادي الفكر والادب الا ويدبجون المقالات فيه ، وهم في تسابق مع الزمن ليعوضوا كل ما فات ، وهم يسعون بدأب حثيث لدفع عجلة الحركة الادبية في بلادهم لتجاري مثيلاتها في الاقطار العربية الشقيقة الاخرى وتباريها .

وفتح الادباء في المملكة العربية السعودية أبواب الحوار والتمازج الفكري مع الاقطار العربية المجاورة وخاصة مع القطر المصري الشقيق ، الذي ساعد على عرض الكثير من البضاعة الادبية للادباء السعوديين في صحفه ومجلاته وفي أنديته ومعارض العلم فيه . ليس ذلك فحسب بل كتب الكثيرون من أعلام الادب العربي في أرض الكنانة مواضيع كثيرة عملت على دفع عجلة التطور الادبي في السعودية نحو التجديد والانعتاق من قيود الماضي وتخلفه .

ففي بداية الامر كان ما جادت به أقلام الادباء السعوديين ، وما فاضت به قرائحهم ، تقليدا للرواد من أدباء المهاجر الامريكية من أمثال جبران ونعيمة وغيرهما ، أو نسجا على منوال فرسان الحلبة الادبية السابقين والمعاصرين في أرض الكنانة والشآم . ولا بد كذلك من ذكر تأثرهم بالعديد من الكتاب الاجانب عن طريق ما ترجم من كتبهم ، أو من لغاتهم الاصلية ، أو التأليف على منوالهم من فرنسيين وانكليز وروس . وكذلك تأثروا بأدباء شرقيين من هنود ، كطاغور ومحمد اقبال وغيرهما ..

وكذلك تأثروا بالعديد من المدارس الادبية الاجنبية والعربية والمهجرية منها بصورة خاصة ومدرسة أبولو المصرية بوجه عام ، فطبعت هذه المدارس انتاجهم بمسحة رومانسية ، يفوح منها الحزن والامتزاج بالطبيعة وغير ذلك من تأثير المدارس الاخرى ..

وقد بدأ بعض الادباء السعوديين البداية الصحيحة فكانت أوائل التجديد وبواكيره عندهم العودة الى التراث الادبي الاثيل للسلف الصالح يستنطقونه ويتلمسون فيه روح العروبة والاسلام ، ويستوحون الابداع والالهام من الفرائد والروائع لعصور الزهو والازدهار وبذلك توطدت جذورهم الادبية في الجذور العربية الاسلامية الاصيلة لتعطي أدبا عربيا اسلاميا له طابع سعودي فريد ..

وبعد ذلك أخذوا ينظرون الى واقعهم الذي يعيشونه فيدرسونه دراسة ميدانية يحللونه ويفسرون ظواهره ويستنطقونها ، ثم الى المستقبل يستشرفونه بثقة وعزم وتصميم على البناء الذاتي لادب سعودي متميز ، يحمل كل سمات المرحلة العظيمة ويحقق أهدافها الجبارة التي اختطها الملك عبد العزيز آل سعود .

وبعد معاناة طويلة أخذ الادبــاء السعوديون على أنفسهم قضية اثبات هوية هذا الادب الذي جادت به قرائحهم والحصول على اعتراف به من قبل أساطين الادب في الاقطار العربية المجاورة وفي مقدمتها أعمـدة الفن والادب في مصر العربية ، فراحوا يكتبون القصص والمقــالات وينشرونها في صحف تلك الاقطار ومجلاتها الدورية ، ويحاورون أقطاب الادب وجهابذته هناك ، ويستحثونهم عــلى الكتابــة والبحث في انتاجهــم ، والفرسان يوم ذاك (العقــاد والمــازني وشكري وطـه حسين وهيكل) وغيرهم من شعراء ونقــاد وقصاصين ومسرحيين ..

ولقد كان لتتابع وصول الكتب والصحف والمجلات الادبية من تلك الاقطار وخاصة مصر ولبنان أثر كبـير في تطوير الحيــاة الفكريــة والادبية وتثقيف العقــول وتكوين الاتجاهات الادبية، وكان لمجلة المقتطف ، والهلال والرسالة ، والثقافة ، جمهور مــن المثقفين ينتظرون مواعيد صدورها ووصولها بلهفة ، ويتابعون ما يكتب فيها متابعة عميقة ناقدة . وينقسمون أحزابــا وشيعا فكرية ، يناصرون هــذا الاديب أو ذاك ، ويفرقون في مناقشــات أدبيــة خصبة في مجالسهم الخاصــة وفي مجتمعاتهم العامة ، وعلى صفحات الصحف والمجلات، يؤيدون الآراء أو يفندون الادلة التي يسوقها الادبــاء في تلك المجلات ، فكان لشوقي ، وحافظ ، والجارم ، والبارودي ، واسماعيل صبري ، والمازني ، والعقاد ، والرافعي ، وطه حسين ، وأحمد أمين ، وزكي مبارك، والزيــات ، ومحمود محمد شــكري ، وسيد قطب ، وسعيد العريان ، مدارس فكرية وأسلوبية لها تلامذتها الكثيرون ، ولم يكن يصدر لاحد هؤلاء أو لغيرهم كتاب او ديــوان حتى يسارع هــؤلاء القــراء الى شرائــه ، ودراسته ..

واذا انصرف الجيل الجديد في مصر والبلاد العربية اليوم عن تلك المعارك النقدية لانه انشغل بألوان جديدة من الفكر والادب ، فان عددا من أدباء المملكة السعودية لا يزالون يهتمون بتلك المعارك ويتناقشون في أمورهــا ويبلغ بهم الاهتمام أن يستفتوا طائفة من أرباب القــلم والرأي في موضوع من المواضيع الادبية .

ومعظم هؤلاء الادباء السعوديين متأثرون بالتيارات الجديدة التي تركت على آثارهم بصمات وملامح واضحة

ومن العدل أن نــذكر أن العدد الاكبر منهــم يميل الى طريقة التأليف والنظم الرزين المحافظ على تفاعل الفكر الجديد مــع الاطــلاع المسبق عــلى المدارس الشعرية المستحدثة .

على أثــر هــذا التفاعل الخصب اندفــع الادبــاء السعوديون الى ميادين الصحافة الفتيــة ، يدبجــون المقالات المختلفة في العلم والفن والادب والدين والتاريخ والنقد والاقتصاد والرحلات والاجتماع والسياســة يواكبون المعطيات الجديدة ، ولم يتركوا زاوية من زوايا الحياة الجديدة الا وكشفوا أسرارها واظهروها واضحة ساطعة جلية .

وانطلقوا كذلك في ميادين الشعر الفسيحة الرحبة يغنونها بكل جديد وفريد ، يقلدون حينا ويجددون في أكثر الاحيان ، فيبدعون في هذا الاتجاه الجديد الذي يمكن أن ندعــوه بالتيار الابداعي أو (الرومنسي) لان هذه التسمية تعنى النزعة الى الفردية والذاتية، والخلو بالنفس ، والشعور بالوحــدة ، والحــزن ، والتماس ايناس تلك الوحــدة عن طريــق الشعر ، وموسيقاه الحالمة الآتيــة من تناغم النفس مــع معطيات الحيــاة الخفيــة .

ولقد كان ظهور هذا التيار في قلب الجزيرة العربية نتيجة لعوامل تشبه العوامــل التي أدت الى ظهوره في الغرب ، ونجملها بحياة القلق والاضطراب التي تسود العالم العربي عامة ، وشعور الادباء بتخلخل المجتمع ، وعجزهم عن تحقيق آمالهم . وقــد دفعهم هذا الى أن يلتمسوا لهم مهربــا يفرون اليــه من واقعهم المرير ، فــلاذوا بالطبيعة يبثونها شكاتهم ويتجاوبون واياهــا تجاوبا روحانيا حزينا ، كما حلقوا في ســمــاء الخيــال وهاموا بأوديته ، أوديــة الرؤى والاحــلام والاوهــام وسبحوا بأرواحهم فيما وراء الطبيعة .

اضافة الى هذا يمكن أن نقول : ان المزاج الانطوائي الذي يفرض على بعض الشعراء أن يعيشوا في أبراجهم العاجية ، وينطووا داخل نفوسهم ، عامل آخر أدى الى الرومنسية . ومما لاشك فيه أن لمدرسة المهجر ، والديوان ، وأبولو ، أثرا في دفع الكثيرين الى هذا الاتجاه الجديد .

وسبب آخر هو أن الرومنسية في الشعر السعودي بل في الشعر العربي عامة أثر من آثار الصوفية السلبية المتحكمة في الشرق ، واذا كان الحجاز بخاصة بلد القداسة والعبادة والتأمل وانطلاق الروح في العالم القدسي ، فقد يكون عاملا من العوامل الكثيرة المؤهلة للرومنسية .

وهناك ظاهرة لا بد من ذكرها عند عدد من الشعراء السعوديين وهي أن بعضهم يتأرجح بين النزعة التقليدية والرومنسية ، وينظم تارة في موضوعات قديمة واسلوب تقليدي ، وتارة أخرى في موضوعات هي من خصائص موضوعات الرومنسيين وفي اسلوب هو أسلوبهم ..

وهناك فئة أخرى اختارت أن يكون فنها للمجتمع وأن تكون ملتزمة بالقضايا الاجتماعية والحيوية لكنها فئة قليلة لا تكاد تشكل تيارا مستقلا ، وهي بذلك تخطو خطوات المدرسة الواقعية .

وهناك فئات أخرى مزجت بين الرومنسية والواقعية في تزاوج جميل ، والاديب نفسه يبدأ رومنسيا ومتى تقدمت به السن يميل الى الواقعية . وعلى ذلك فان عنصري الذاتية ، والموضوعية أو الرومنسية والواقعية أمران لا غنى عن وجودهما معا في العمل الادبي .

ثم ولجوا كذلك ميادين القصة هذا الشكل الادبي الجديد فأبدع البعض منهم حتى حاكى أعلام هذا الفن في الاقطار الشقيقة . وأخذ هذا الفن الجديد يزاحم الفن الشعري العتيد ويشق طريقه بين سخط الشامتين وتصفيق المشجعين ، واندفعت القصة في طريقها الجديد حتى ملكت ناصية السيادة على الالوان الادبية الاخرى بفضل مرونتها وتبنيها للقيم الاجتماعية التي ينشدها المجتمع ، وعبرت كذلك ببساطة ووضوح عن مفاهيم اجتماعية حديثة تعبر عن وجهة نظر التطور الاجتماعي الحديث مبرزة وعي الاديب السعودي للمتغيرات التي تحيط به وشكل رؤيته المستقبلية للحياة . وعالجت مختلف القضايا الوطنية والقومية والاجتماعية ،

وأوجدت لها الحلول العصرية المناسبة ، ولم تترك قضايا الشباب والمرأة فسلطت عليها الاضواء الكاشفة وحللتها بنظرة علمية موضوعية وأعطتها حقها من العناية والتقدير . وما زال الادباء السعوديون يغذون السير ويتتبعون أصول هذا الفن بدأب ونشاط يبشر بالخير كله .

ثم رادوا ميادين المقالة المقروءة والمسموعة والمشاهدة وبرعوا فيها وقطعوا أشواطا بعيدة هائلة تتناسب مع حجم المعطيات الفنية والتقنية المتاحة أمامهم ، ولم يدعوا مجالا الا ودبجوا فيه المقالات الرصينة ، يأتي على رأس هذه الموضوعات ، المقالة الدينية ، ثم الادبية ، فالسياسية فالاجتماعية فالتاريخية والاقتصادية والعلمية والنقدية وغيرها .

وبلغوا في جمال الطباعة والتأليف والمكتبات شأوا سامقا يلبي كل متطلبات المرحلة الحضارية التي تمر بها البلاد السعودية ، ولا يوجد في البلاد العربية أحدث من مكتبة الظهران التي ألحقت بجامعة البترول والمعادن.

وأغنوا كذلك بقاع السعودية بالمنتديات الادبية التي ترعى الفنون والآداب وتصدر الكتب السنوية وتطبع المحاضرات التي تلقي فيها ، وتزود الاجيال بكل تالد وطريف .

ولن ننسى في هذا المجال منابر العلم والادب والفنون على مدرجات الكليات العديدة في جامعات المملكة العربية السعودية ، بكل فروعها العلمية والنظرية والعملية ، وما يتبعها من معاهد علمية خاصة ودورا للمعلمين والمدرسين وغيرها من مناهل العلم والادب .

وهكذا انبثقت الحياة على أرض المملكة العربية السعودية حية نابضة متحركة ، فاختصرت الزمن وقصرت المسافات وبدت الحياة وكأنها تقفز على هام العصور، وحققت بنصف قرن ما حققته البلاد الاخرى بعدة قرون .

حديث الذكريات مع الشاعر الراحل الفراتي

محمد قرانيا

يعود تاريخ لقائي بالشاعر الفراتي، الى شهر تموز من عام ١٩٧٤ حيث كنت مع عدد من عشاق الادب في مدينة دير الزور ، حاضرة وادي الفرات ، قدمنا اليها للمشاركة في حفل تأبين البحاثة « عبد القادر عياش » الذي دعا اليه اتحاد الكتاب العرب ، آنذاك . وقد توافد الادباء من جميع أنحاء القطر السوري . من داخل الاتحاد وخارجه، للمساهمة في تابين العلامة الذي خلف وراء ظهره ١٣٣ مؤلفا عن حضارة وادي الفرات ، قديمها وحديثها .

وكان برنامج الحفل يتضمن قصيدة للشاعر الفراتي هذا الشاعر الذي كنا نقرأ أشعاره ونحن على مقاعد الدراسة ، يلهب بها حمية ثوار الثورتين ، الثورة العربية الكبرى والثورة السورية ، ويهاجم الاتراك والفرنسيين والانكليز ، فمنيت النفس برؤيته عن كثب وسماع صوته بأذني ، واعتبرتها فرصة العمر الذهبية النادرة ، ولكني شعرت آنذاك بخيبة أمل، عندما اعتذر عريف الحفل عن امكانية تقديم قصيدة الفراتي بنفسه نظرا لنحولة جسمه وضعف بصره ، وكان أن صعد الزميل محمد علي الزركان فألقى القصيدة بالنيابة عنه وشاهدت الفراتي الشاعر في نهاية الحفل بصحبة احدهم وهو يصحبه من يده لئلا يتعثر الجسم الناحل الذي قطع من العمر رحلة طويلة اقتربت في عمرها من قرن كامل .

وتبعت الفراتي ، متمرسا خطاه . وأنا أستمع الى وقع عصاه التي يتوكأ عليها فوق حصباء الشارع ، تحكي حكاية الزمن الغابر ، حتى انتهى به المطاف الى مقهى تغتسل جنباته بمياه الفرات ــ وللمقاهي في دير الزور حكايات طريفة وممتعة ــ فاقتربت منه بوجل والقيت التحية مسلما ومحتضنا اليد المرتجفة الواهنة التي اعتادت حمل السلاح في البداية ثم احترفت عناق القلم ، لتطلق من خلاله الكلمات الثائرة والمحرضة على الثورة ، فيما بعد .

أمام الفراتي وجها لوجه . حدقت في ملامحه مليا أحسست كأنني عصفور دوري أقف على قمة هرم تاريخي ضخم . قدمت اليه نفسي . فارتسمت بسمة الوداعة على محياه الغائب بين سنابل الشعر الابيض المكلل بثلج السنين .. ومن بين الشفتين الضامرتين ، والصوت الهادىء الوادع ، الذي تزينه لهجة البداوة الاصيلة . تكلم الشاعر بعد أن داعبت سمعه بأسئلتي قائلا :

ــ أتابع ما يكتب بين الحين والآخر على صفحات صحافتنا الثقافية . اذ يقبل علي الاحبة ليقرؤوا لي ما تنشره هذه الصحف ، فأنا لا أستطيع ذلك بنفسي كما ترى فقد «وهن العظم مني واشتعل الرأس شيبا» منذ أمد بعيد .

انطلق الفراتي على سجيته ، فسرد على مسمعي بعضا من ذكريات الصبا والشباب ، حكى الشاعر عن أصدقاء عمره ورفاق دربه ، أحمد شوقي . حافظ ابراهيم . معروف الرصافي . محسن الكاظمي . جميل صدقي الزهاوي . محمد البزم . خليل مطران . شفيق جبري . عمر أبو ريشة ..

ــ كانت لي مع كل منهم واقعة أو مشاركة أو مساجلة . وكنا كثيرا ما نلتقي في المناسبات القومية والتظاهرات الوطنية ومجالس الشعر ومنتديات الادب

وتعددت مسارب الحديث ، فمن الادب الى الوطن

والحرية والحب . قال محدثي : وهو يستعيد صورا مشرقة من ماضيه :

ـ زرت من الاقطار العربية مصر والحجاز والعراق والبحرين. وشاركت فيثورة الشريفحسين وساعدت على اشعال نار الثورة السورية .. لذلك عرفت مع اصحابي النفي والتشرد وهددنا الجلاد بحبال المشانق

وكان حديث الذكريات يحرك كوامن الشجى في نفس الشاعر :

ـ كنت كالبلبل المغرد . انتقل كل يوم من غصن الى غصن ، لا بعث الحمية في النفوس وازيد من اوار الثورات التي كانت تندلع في كل مكان من وطننا العربي وتنتشر انتشار النار في يابس الحطب .

كان الصوت الواهن يتناهى في الضعف والخفوت وكان الناس من حولنا يصخبون ويقصفون في الجرداق الذي يعمر بالرواد ، لذلك ازددت اقترابا من الشاعر لئلا تفلت مني كلمة يتفوه بها ، وقد عجبت لحال هؤلاء الناس الذين يتحلقون من حولنا دون أن يتنبه أحدهم لوجود الفراتي وتذكرت في هذه اللحظات أبياته التي شكا فيها الزمان واهله ، والتي يقول فيها :

اغرقي في اهانتي
واجهدي في مساءتي
بلدتي يا ابنة الهوى
فيك خابت فراستي
آه يا بلدة الاسى
جهل قومي براحتي

وقال متحدثا عن حياته الراهنة :

ـ يقصدني بعض طلاب الادب وعشاق الشعر . في منزلي . احدثهم عن الماضي والتاريخ والذكريات ويقرؤون علي نماذج من كتاباتهم .. جاءني استاذ دكتور من الجامعة . قدم ليستشيرني فيتأليفمجموعة في اصول اللغة الفارسية وقواعدها ، بعد أن تقرر تدريسها في الجامعات السورية باعتبارها لغة سامية

لها رصيد من المهتمين في العالم ، ثم علمت بعد ذلك أنه اخرج مجموعة تعليمية جعلها في قسمين ، قسم نظري، يبحث في التاريخ العام ، وقسم ثان في مبادىء اللغة ، اتبعها فيما بعد بالمعجم الفارسي ، وقد اعلنت له فيما بعد ، انه لم يقدم في هذا العمل صورة واضحة عناللغة الفارسية الفنية بالملامحالانسانية والجوانب الحضارية اما انا فقد وضعت ثلاثة أعمال في قواعد الفارسية وتعليمها بالعربية تقع فيسبعمائة صفحة، ومعجما آخر للكتابات الفارسية ..

وتشعب الحديث عن الآداب الفارسية ، فلما أتينا على ذكر رباعيات الخيام ، قال محدثي الشيخ الجليل:

ـ انني استطيع ان اثبت للعالم بأن الرباعيات نسبت خطأ للخيام ، ولم يثبت التاريخ الادبي بوثائق مدعومة بالحقائق ، صحة نسبتها له . لقد اعلنت ذلك مرة لحافظ ابراهيم ، وذكرت هذا ايضا لخليل مطران وعندما التقيت بأحمد رامي ، وهو ممن يجيدون الفارسية اجادة تامة ، قلت له ان عمر الخيام بريء من الرباعيات ، وكذلك القول لمحمد السباعي ، وهؤلاء جميعا اهتموا بالرباعيات وترجموها الى العربية ، كل بأسلوبه وعلى طريقته ، ولكنهم وقعوا في اخطاء جسيمة

بسبب نقل الترجمة عن أصل انكليزي او فرنسي ، بالاضافة الى التصرف الواسع الذي كانوا يعاملون به النص المترجم .. وكان احمد رامي أكثر هؤلاء تصرفا وبعدا عن الحقيقة اذ القى على القصيدة ظلالا من نفسه وشاعريته ، حتى يمكننا أن نعتبرها رباعيات رامي العربية ، وان اقرب هذه الترجمات الى الاصل الفارسي هي ترجمة محمد السباعي ، الا ان الظروف التي هيئت لاحمد رامي وترديد المطربة أم كلثوم لها بألحان رياض السنباطي جعلها أشهر هذه الترجمات واوسعها انتشارا .

ومن الشعر الى الواقع .. الى الحياة بمعاناتها ومشكلاتها ، فتح الشاعر قلبه ، وانطلق على سجيته :

ـ عملت مترجما في وزارة الثقافة ، وترجمت روائع سعدي الشيرازي ، ونقلت افانين كتابه البستان الى لغة أبناء العروبة ، كما عملت على ترجمة بدائع حافظ الشيرازي شعرا ، وثمة كتابات وشهادات جاءتني مؤيدة ترجمتي الامينة باعتبارها صورة طبق الاصل عن اللغة الام ، دون تصرف او تعديل .. في الوظيفة كان الاجر ضئيلا ، والسن لا تساعد على الاستمرار والمضي وأنا يومئذ قد تجاوزت الثمانين ، فتركت العمل في العاصمة ، تلاحقني ديون للوزارة لا أعرف مصدرها ، وراتب تقاعدي لا يتجاوز مائة وخمسين ليرة شهريا .. وعدت الى دير الزور لاعيش بالقرب من النهر الخالد الذي حملني اسمه فشهد طفولتي صغيرا ورعاها يافعا، ولامتع بقايا البصر الواهن والنفس الحية بمناظر المدينة التي أحبها .. أستقبل بعض طلبة العلم على قلة ، ويزورني بعض من المسؤولين في القليل النادر . ثم أجلس وحيدا في البيت والمقهى تشاركني نرجيلتي وكتبي هذه الجلسات ، أتسلى بالقراءة ، ثم انتظر حتى يقضي الله امرا كان مفعولا .

وقضي الامر .. وقبل الوداع سألته عن الشباب ، ومستقبل الادب ، قال الفراتي :

ـ نحن من جيل قرأ كثيرا ، وبكى كثيرا ، حتى انتج البكاء الاستقلال ، واثمر القهر هذه الحرية . الجيل الجديد يجب أن يقرأ أولا فلا ينقطع عن التراث وأن يتفاعل مع أحداث العصر ، وتياراته ، ثانيا ، لئلا يفوته قطار الحضارة والمعاصرة .

وامتد اللقاء المسائي على ضفة الفرات حتى منتصف الليل .. فودعته ، وكلماته الناعمة بنبراتها الهادئة لم تزل ترن في أذني حتى اليوم .. تركته وانا اشعر شعور العصفور الذي غادر قمة الهرم ، بينما ظل بوح النسمات الحانية يداعب اجنحته .. الا سلام عليك يا ابا طارق فقد كنت شاعرا وفارسا . منحت الامة كل نفسك .. ومثلك فليكن الشعراء .

محمد قرانيا

مرثاة الشاعر محمد الفراتي

فوزي علي رضا النحوي

الفرات العذب وأمواهه ، سهوله وبيداواته ، حضاراته العريقة وثقافاته، أشجاره وأطياره، تنصت اليوم الى صدى شاعر وأديب ، غنى أمجاد أمته ، وانشدها بقلبيه ، وترجم تراث عربيته بلغة الاديب المبدع وعطاء الفكر الخلاق .

شاعر ووجدان وقمر من أقمار العلم وشموسه ، رصف البلاغة ونمقها بزفرات الشباب الطموح والشيخ الوقور. غادر الدنيا مؤمنا ، ولبى نداء السماء فارتحلت روحه الى فرات الجنة لتستقبله الطيور الخضر بأغاريد الشهادة وآيات الرحمة والخلود .

الشام من عريشها الى فراتها والعروبة من خليجها الى محيطها تذكر عبقرية شاعر ، عميق الفكر ، نبت في دير الزور فأورق نباته ونضج ثمره وقطفتها أجيال لتتغذى من فواكه الشعر ما لذ وطاب .

شاعر وفنان ،عرفته في دير الزور موسوعة من العلوم والآداب وذلك عام ١٩٧٥ ، حينما قصدته عامدا مع صديق لاتعرف عليه واكتسب من فضله وادبه ، وحينما اجتمعت اليه قدمت نفسي فازددت اعجابا بعمق لغته . قلت له انني سأغادر الدير غدا الى الرقة بكسر الراء فقال لي رحمه الله بتواضع وهدوء : لا تقل الرقة بكسر الراء بل قل الرقة بفتحها .

ما أجمله من نقد لمن يحترم النقد ، وما أخصبه من عقل تربوي يدير اللغة وفنونها وأصولها ادارة النبيه الفطن والشاعر المربي والمعطاء عطاء اللغوي الذي تمرس على اغتراف العلم والادب أشكالا والوانا .

بعد وصولي الى حلب من الرقة قبل أن أغادر الى دمشق عدت الى المراجع العربية التي كانت زادي في كل مهمة رسمية فوجدت أن للرقة اسمين لقريتين في مصر ، الاولى على الشاطىء الغربي لنهر النيل والثانية على شاطئه الشرقي .

وبعد .. مات الشاعر الفراتي بعد أن عاش قرنا من الزمن ، كأنه الزمن الذي لم يكن !! مات لتعيش

آثاره الادبية والفنية خالدة في ديـار مضر في الجزيرة السورية وفي كل قطر عربي ، في كل بلد وصلت اليـه فنون الراحل الاديب ، فيأدبه المشع بموجات موسيقية لا تغيب عن افق الا وتشرق من افق آخر ..

أيها الشاعر العظيم ، أنت قلبان لانك عظيم ، قلب يتوجع وقلب ذو بصيرة وتأمل ، وقف قلبان من قطعة واحدة في جسد واحد ، وقفا وبقي الالم يتوجع كوجع امة عانت وما زالت تعاني من شراسة الظلم وفداحـة الخطوب ، واستمرت الرؤية تتأمـل في شاشة الدهر الخؤون ، رقـد الفـؤاد في ظلمة القبر ليعانق التراب الذي اليه نعـود ، ووكف الفرات الخالد مـن مناهره ليندي قبر شاعر انشد الفرات وغناه ، حتى الفرات يبكيانسانية شاعر ترق وتذوب على زمن تجمد الحس فيـه وتبلد .

وهنا في دمشق ، أعيش بلادي فلسطين فأذكرها وتبكيك أيهـا الشاعر الشهيد بجبالهـا وسهولهـا ، بأشجارها وأنهارها ، فمن قمة الجليل يتوافد العزاء ، ومن قنةكنعان يجتاح الاثير شعور الحزن، ومنالكرمل الفنـد اللاهب تسري أحـارر الاسى ، ومـن تسابيح المسجد الاقصى المحروق أسمع في ضربات قلبي الكليم تراتيل الرحمة على قبرك وروحك أيها الشاعر الانسان

انك شاعر وشهيد ، مات كالغريب عن وطنه وهو في وطنـه ، وكيف لا ! وأفراح الامس استحالت الـى أتراح ولغة القوم تذريها رياح اللامعقول فيجديد الادب ونمط شعره المستجد ونثره المتآكل .

أجـل ، غريب انت أيها الفقيد عن أمـة لا تعرف العظيم الا بعد مماته ، تكرمه في اللحد ولا توفيه حقـه في حياته ! فكم أديب جاع ولاذ بكبرياء الصمت ، أعطى من دمه دفقا لبني قومه ومن فكره سخاء لاجيالضائعة بـين قديمها وحديثها ! فيا حـزن الادب على الاديب ويا دموع الاسى على لغة تطاردها النعام ! وأي غصة أشد خطرا من غصة الكلمة التي لا تزدرد !

أيهـا الشاعر العظيم ، نـم في تراب طهور لمثوى الخالدين ، وباركتك السماء لكفـاح الحرف ونضـال الكلمة كمـا اكبرتك السماء في الفراتين عنـدلا شـدا للخافقين جهاد الاوائل ونبه الغافلين .

من جلق الشام ارثي ما استطعت ، وتحية اجلال لشاعر شهيد مضى ولم تمض آثـاره ، وسلام عـلى الفراتي يوم مات ويوم يبعث حيا .

بقلم : فوزي علي رضا النحوي

القنديل الخالد

مرثية الشاعر محمد الفراتي

شعر : محمد منذر لطفي

- ١ -

ماذا أصاب «الدير» من حدثان
حتى غدت بحرا من الاحزان
غاب الهزار..وغاب عذب غنائه
فشجا الحنين عرائس الشطآن
فمضت ترد له الجميل..محبة
وهي الوفاء على مدى الازمان
حملته في افكارها .. حضنته في
أحداقها .. زرعته في الوجدان
واتيت من «عاصي حماة» يزفني
نهر الاباء .. وغضبة البركان
اقبلت من دنيا المفاتن والشذى
السحر بعض جمالها الرباني
اقبلت من بلد .. كأن ترابه
نبع البيان .. ومهبط الاوزان
وافيت احمل « للفرات » تحية
نعمت بعطر الشوق والتحنان
انا ماذكرت هوى الفرات وطيبه
الا وفاض الدمع في اجفاني
وافيت أرثي الخالدين على المدى
الصانعين حضارة الانسان
الزارعين الشمس في قلب الدجى
الواهبين العمر للاوطان

- ٢ -

يا شاعرا أهدى البيان قلائدا
عذرية الانغام والالوان
هذي قوافيك الحسان تألقت
زهوا .. بحسن مرقص قينان
«هاروت» ذر السحر في اعطافها
فتماوجت كالزهر في نيسان
ضمت اغاني المكرمات.. وزانها
صدق الرؤى وحلاوة الايمان
وافيت نجما ثاقبا الق السنا
تمحو الظلام بفكرك النوراني
فاهتز كرم « الدير » شعرا بعدما
عصفت به ريح الشتاء الجاني
ومضت تتيه على الزمان بخمرها
ويمدها غدقا اخو احسان
اعطى.. فأجزل في العطاء لقومه
ومضى يدير الكأس للظمآن
زحم الصعاب وراح يهزأ بالدجى
حتى اطل البدر بعد حران
نشر الضياء على الظلام مشاعلا
غمر الجميع بحبه المتفاني

واليوم غيبه الحمام .. وذكره
روض زهـا بالفـل والريحان

أنا ان رثيت الخالدين .. فانما
أرثي البيان .. وموسم الالحان

أرثي المعـلم والحكيم وشاعرا
علمـا .. ينير الدرب للركبان

ارثي مربي الجيـل يصنع امة
بيراعـه .. والمجـد بالمـران

نبـع من الخلق الكريم عرفتـه
ومآثرا خلـدت علـى الازمـان

نهران ضم « الدير » في رفديهما
نهر الفرات وشاعر البستان[1]

وافى .. فكان النهر في أنسامه
وعطائه ..كان الفرات الثاني

– ٣ –

ياشاعري نشـر الدجى أجناده
فوق البيان .. وسحره الفينان

وتجمعت سحب الظلام وأرعدت
وتلاقت الفرسان بالفرسـان

اني ذكرتك بعدما غـاب السنا
والبـدر مسراه بكـل مكـان

ازرى بنا شعر البغاث فأزهرت
بستاننا بالشـوك والغربـان

وتكاثر الطـير الـدعي بساحنا
واستنسروا ألفا على العقبان

جاؤوا بشعر مزقت أوصالـه
حتى بـدا ضربا من الهذيـان

سموه جهلا بالقريض .. لجهلهم
معنى القريض وسحره الروحاني

لا شكل لا مضمون يجمع شمله
جـاء الدنى ميتـا بلا أكفـان

بعض «الحديث» تحلل وطلاسم
فكأنـه وجـه بغـير معـان[2]

والبعض من نبع التفاعيل استقى
أقداحـه .. وتناغم الاوزان[3]

يستخدم الرمز المـدل وسيلة
ويرود آفاقـا بـلا عنـوان

يتعشق المجهـول في أسـفاره
بحثـا عن الفيروز والمرجـان

يزهـو بأفكار عـذارى مثلمـا
يزهو القديم بمجده .. والباني

صفقت للمضمون عصري الرؤى

أيا تبنى « الشكل » من بنيان

وهتفت للشعر المحلق في الذرا

وهجوت شعرا عاش في الوديان

آمنت بالتجديد نبع اصالة

وكفرت بالتجديد نبع دخان

— ٤ —

ياشاعري ياصاحب الوتر الذي

أغرى الشذى ألفا بما أغراني

يا شاعر الحرف المضمخ بالسنا

أنت الاصيل ومجد غيرك فان

الشعر ومض .. لا مكان يحده

أبدا ولا يعزى لأي زمان

والشاعر العملاق في ابداعه

« نوح » أتى من لجة الطوفان

حمل الحياة وراح يرسم للدنى

أفقا جديد الشكل والاركان

أفقا أصيلا نورت أقماره

وشموسه الآفاق للاكوان

كرمت اذ كرمت شخصك أمة

وعنيت اذ أنشدت كل يمان

من كل حمال الضحى خصب الجنى

نعم الخلود بشعره الانساني

يهوى المغامرة التي تمضي به

ألفا لكنز الدر والعقيان

يهوى المخاطر والصعاب على المدى

أكرم به من شاعر ربان

كل العوالم والكواكب والدنى

جمعت بقلب الشاعر الانسان

— ٥ —

ياشاعر الاجيال حسبك عزة

أن نلتقي في ذكرك الريان

يمضي الزمان ومجد شعرك خالد

هو والفرات السحر يمتزجان

فاهنأ فشمسك لايغيب شعاعها

واسعد فنجمك دائم اللمعان

ستظل في درب القريض منارنا

وسناك فوق الموت والنسيان

★ القيت في المهرجان التكريمي الذي اقامته مدينة دير الزور بتاريخ ٢٧-٧-١٩٧٨ لشاعرها الكبير محمد الفراتي بمناسبة مرور أربعين يوما على وفاته .

١ — اشارة الى ترجمته الرائعة لديوان «البستان» للشاعر الايراني « سعدي الشيرازي » .

٢ — اشارة الى الشعر المنثور المتحلل كليا من التفعيلة والقافية بالنسبة للشكل ، المغرق في السراب والضبابية والضياع بالنسبة للمضمون .

٣ — الشعر الحديث الذي يعتمد وحدة التفعيلة شكلا للقصيدة .

محمد منذر لطفي
عضو اتحاد الكتاب — فرع حماه



د . عمر طالب

لقد خرج شكسبير على اصول المسرحية الكلاسكية لذا عد ادب شكسبير جسرا بين الكلاسكية والرومانتيكية فقد ضمن بعض مسرحياته مناظر المعارك وهو وان عد خروجا منه على قواعد الفن المسرحي الكلاسيكي الا انها كانت وسيلة فعالة في استجلاب اعجاب المشاهدين كما فعل في مسرحيات ـ ريتشارد الثالث ، يوليوس قيصر ، الملك لير ، ماكبث انطوني وكليوباترة ـ فنجد ان ريتشاد وبروتوس وكاسيوس وماكبث يموتون في ساحة المعركة . (١)

كما نجد ان شكسبير لم يسر على هدى الكلاسيكيين في احلال المفاجأة عن طريق الكوارث ، بل هو يجعلنا نحس انها لا مفر منها ، فقد يحدث عندما نخشى وقوع الكارثة لاننا نحب البطل ان تجيء لحظة قبيل وقوعها يومض فيها قبس من الامل الكاذب فيضيء المنظر المدلهم ولكنه يؤثر فينا بالرغم من علمنابانه كاذب ومثال ذلك الفصل الاخير من مسرحية ـ الملك لير ـ

فهنا نجد ان انتصار ادجار وموت ادموند والاختين كادا يجعلاننا ننسى المؤامرة المدبرة للقضاء على حياة

الملك لير وكورديليا وحتى عندما نذكر بها يظل ثمة مجال للامل في ان يصل ادجار في وقت يمكنه من انقاذهما ، وبالرغم من المامنا بسير المسرحية الا ان دخول الملك لير المفاجيء حاملا بين ذراعيه جثمان كورديليا

يصدمنا . (٢) ويعمد شكسبير الى توسيع نطاق الكارثة لا الى تجميعها كما يفعل الكلاسيكيون في مآسيهم بحيث تشغل مساحة كبيرة جدا وبهذا يقتضب ذلك القسم الصعب الذي يراد به اظهار تطور العمل المضاد وهذا لا يتأتى الا حين توجد الى جانب البطل شخصية تشغل اهتمامنا الى اقصى حد ويكون مصير البطل مرتبطا بمصيرها . ومن ثم فان قتل ديدمونة تفصل بينه وبين موت عطيل مسافة ما . (٣) كما اننا نجد شكسبير لا يوازن بين المشاهد في بعض مسرحياته وخاصة التاريخية منها ويعد هذا العمل عيبا كبيرا في البناء المسرحي الكلاسيكي . او انه يلغي المناظر اذا كانت المادة التاريخية غير درامية كما هي الحال في الجزء الاوسط من مسرحية انطوني وكليوباترة فقد جعل هذا ممكننا عن طريق عدم وجود مناظر ولا شك انه استخدمها لانها كانت اسهل وسيلة للخروج من المأزق وهذا يذكرنا بالترتيب القصصي البحت الشائع في مسرحيات القرون الوسطى . (٤)

ولم يحفل شكسبير كثيرا بوحدتي الزمان والمكان ولم يتقيد في نظم الشعر بالقوافي ولا باصول المنطق بل كان شعره فيضا من نفسه لا يكاد يرتبط الا بالاوزان لذا كان شكسبير اماما للرومانتيكيين حينما كان يضيق النقاد بقواعد الكلاسيك وحينما كان يثور الشعراء على قواعد المنطق واصول الفن كانوا يفزعون الى شكسبير فكان شكسبير عظيم الاثر في تغذية الاتجاهات الرومانتيكية التي قامت في اوربا . (٥) ولعل خروج الادب الانكليزي على القواعد الكاملة للكلاسيكية يعود الى تأثير شكسبير على هذا الادب الذي طبعه بطابعه حتى ان المحاولات للتمسك بالقواعد الكلاسيكية التي ظهرت في اواخر القرن السابع عشر واوائل القرن الثامن عشر باءت بالفشل نتيجة للعودة المستمرة الى اعمال شكسبير التي كان يفضلها الجمهور على غيرها .

★ ★ ★

كان – بن جونسون – ١٥٧٣ – ١٦٣٧ من اشد خصوم شكسبير ، فقد اعتبر نفسه تلميذا للقدامى واراد اصلاح المسرح طبقا للاساليب الكلاسيكية ، ووقف جونسون ضد المسرح الاليزابثي وخالف الذوق العام في ذوقه وافكاره وعقائده التي اقتبسها من القدامى فاذا كان شكسبير قد سار مع ذوق الجمهور فقد وقف جونسون بثقله ضده . فقد كان ذا معرفة جيدة باحسن الكتاب الكلاسيكيين ، وباساليب القدماء فهو يؤكد في مقدمة مسرحيته – فولبوني – ١٦٠٦ على تمسكه بقوانين الزمان والمكان والاشخاص وانه لن ينحرف عن اية قاعدة اساسية فلقد كان مثله الاعلى في كتابة مسرحياته ، ان يكون لكل مسرحية فعل مسرحي واحد يمثل في مشهد واحد وفي فترة لا تزيد على اليوم الواحد . (٦)

ونستدل على ان جونسون من اتباع الكلاسيكيين القدامى في اختفاء العنصر العاطفي كلية من مسرحياته واقتصاره على الملهاة وقد قلد جونسن في ملاهيه ارستوفان فألف – بذخ سنثيا – ١٦٠١ ، – الشويعر ١٦٠٢ وهاجم فيهما كتاب المسرح في عصره ولكنه بعد فيهما عن الطبيعة بمعناها الكلاسيكي لانه كان يجنح الى ملاحظة مميزات الفرد البارزة فقط او يراعي طابع العنف في شخصية من الشخصيات الشاذة التي كان مولعا في رسمها داخل مسرحياته . ويهمل العواطف الاساسية المشتركة بين جميع الناس ويغفل الحب . وجونسن في هذه الناحية اقل كلاسيكية من شكسبير

لقد ادخل جونسن في عرضه للحياة المعاصرة نظرية ثابتة في الملهاة تعتمد على فكرة الامزجة وهي فكرة ناتجة عن تقاليد لاتينية منحدرة من العصور الوسطى وكانت شائعة في العصر الاليزابثي (٧) ولكن سرعان ما سما جونسن الى منزلة الملاهي الراقية في مسرحية – فولبوني ١٦٠٦ ، ابسن ١٦٠٩ ، الكيميائي ١٦١٠ ، سوق بارثليمو ١٦١٤ – وهي من ابرز مسرحيات عصر النهضة فلا نجد في هذه المسرحيات سلسلة من شخصيات المزاج فقط . فبفضل قوته قد احكم انشاءها جميعها فظهرت وكأنها قصر روماني وكل شيء فيها اصيل: موضوعها وحبكتها وشخصياتها وهي من نسج خياله او مستوحاة من دراساته للطباع الشاذة . وتتخلل مسرحياته نظرة ساخرة مع ان خشونته قد وزعت عليها توزيعا غير عادل . ففي –الكيميائي– مثلا يفضح الخداعين والمخدوعين الذين يجمعون المال عن طريق التغرير بالناس واولئك الذين يقدمون انفسهم ضحية للخداع لانهم يطمعون في الثروة السريعة . وهاجم جونسن في مسرحيته – سوق بارثلميو – النزعة التطهيرية التي كانت قد اخذت تنمو في ايامه ولم يكن يرى فيها غير النفاق فزودته بشخصيات كاريكاتيرية غريبة .

وقد كتب جونسن مسرحيتين مأساويتين تاريخيتين – سجانس – ١٦٠٣ و – كاتلين – ١٦١١ . وقد كتبهما بقصد منافسة معاصريه ولا سيما شكسبير اذ وجد في مسرحية يوليوس قيصر لشكسبير خروجا على تفهم التاريخ الروماني بسبب خلطه بين القديم والحديث حيث جعل روما تشبه لندن . اما جونسن فاراد ان يقدم للجمهور روما القديمة مدللا على ذلك بالمصادر اللاتينية التي اعتمد عليها . ولم يحاول جونسن فيهما ان ينزل الى مستوى الجمهور بعد ان يئس من صلاحه لذا نجده يتبع مفهومه الخاص للمأساة السينيكية . فقد ادخل الشبح واستعان بالجوقة بين الفصول والتزم بالامانة التاريخية لنقل الحدث وخطب شيشرون مما افسد على المسرحية نصيبها من النجاح . (٨) واعتبره خياط مسرحيات رديئا ، نتاجه ارتجالي يطفح حكبمها ارقى منها وهو الديانات التي ينساها الناس

★ ★ ★

وقد هاجم جونسن – توماس دكر – ١٥٧٠ – ١٦٣٢ بالحماقات والاشياء المضرة . ومع كل ما قاله عنه جونسن فالكتب لا تثقل كاهله والتحليل النفسي لا يقلقه وهو على احسن ما يكون حين يدون مشاهد الحياة يصف فيها اناسا احياء تستطيع ان تشاركهم في عواطفهم فهو مثال للكاتب الشعبي ، له موهبة دراميكية فطرية وطابع رومانتيكي تلقائي وهو يشبه – يوبرت كرين – والعاطفة الفنية وقد اتصف بالرقة والتفاؤل طيلة حياة الفقر التي عاشها . (٩)

واشهر مؤلفات دكر مسرحية – المومس الشريفة – وتقع في جزئين يصور الجزء الاول منها كيف ان العاهر تستجيب للحب فتتراجع عن عارها ويصور في الجزء الثاني كيف ان الحب يدفعها الى الرذيلة ثانية . وتعد هذه المسرحية نموذجا للمسرحية العائلية ويضفي دكر على الملهاة جوا من السذاجة والسحر الرائع وتفيض مشاهدها بالمواقف الفكهة الناجحة ، وتمتاز بقوة

تصوير شخصياتها وخير مثال على ذلك مسرحيته – عطلة الاسكافي – وتعد من مسرحيات الملهاة الواقعية لكن جوها يختلف عن جو مسرحيات السلوك التي كتبها جونسن واضفى عليها طابعا اخلاقيا . (١٠)

ويعد – توماس هيوود – ١٥٧٥ – ١٦٣٣ شكسبير النثر كما وصفه لام وهو الذي سار ب – المسرحية العائلية – الى الامام . فهو اكثر قدرة على كتابة المسرحية البرجوازية الصحيحة لانه يستطيع في بعض الاحيان ان يتخلص من عنصر العاطفة . وكان يسعى الى ترضية اذواق المشاهدين من سكان المدن وهو يستقي موضوعاته في بعض الاحيان من التاريخ الانكليزي معتمدا على العاطفة الوطنية او البروتستانتية لدى جمهوره ويقتصر في اوقات اخرى على الشعور الصادق عندهم . (١١)

وافضل نجاح حققه هيوود في المسرحية العائلية مسرحية امراة قتلتها الشفقة التي مثلت عام ١٦٠٣ ، وقد ارتنا هذه المسرحية صورة عائلة سعيدة وقد دمرتها الخيانة الزوجية ، وتصف لنا الام الزوج الذي يكتفي في انتقامه بطرد زوجته ثم توبيخ ضميرها الشديد فوفاتها في اللحظة التي يغفر لها زوجها . (١٢) وقد فضل هيوود من سبقه بانه خفف من شدة انتقام الزوج المخدوع التي كانت تطالعنا في المسرحيات السابقة عليه وبدل هذا الانتقام الوحشي بعنصري الشفقة والغفران . لقد كان دليل هيوود رقة فطرية وشفقة واسعة لا تشبهان في شيء صراحة النزعة التطهيرية . (١٣)

ولكن ما ان حل القرن الثامن عشر الا وظهرت المسرحية العائلية من جديد تلك المسرحية التي عبرت عن مصالح الطبقة الوسطى لان المرحلة التي تلت مسرحيات هيوود والتي قدم فيها – ويبستر – مسرحياته ومن تلاه من الكتاب كانت اقرب الى روح المسرح الشكسبيري .

* * *

يختلف مسرح – جون ويبستر – ١٥٧٥ – ١٦٢٥ اختلافا كليا عن المسرحيات الانكليزية السابقة عليه لابتعاده عن الصناعة اللفظية والتعقيدات الفكرية وبرهن على مقدرة مسرحية فائقة . (١٤) وقال – اليوت – عن الصفات المميزة لطبقة ويبستر من كتاب المسرح : – فهمهم الفني واقبالهم على الجمع بين كل انواع التأثيرات الفنية في ان واحد واعراضهم عن تقبل اي قيد او تحديد والالتزام به – . (١٥) وترجع اهمية ويبستر الى مسرحيته – الشيطانة البيضاء – و – دوقة مالفي – . وقد عرض في الاولى شخصية الحسناء الايطالية – فيتوريا اكورامبوتا – التي كانت حياتها فضيحة روما في نهاية القرن السادس عشر وقد سلط ويبستر الضوء على جرائمها وهو يشعرنا ايضا بسحر فطنتها وطموحها وروحها التي تواجه اليأس وتكافح ضده ، فهي تواجه الحكام باسلوب رائع وتسدد الى نحورهم التهم التي يوجهونها اليها. (١٦) ومثلها مسرحيته الثانية التي تدور حول دوقة احبت خادمها فدفعها اخوها الى الجنون .

ان ملخص عقدتي هاتين المسرحيتين يبدو انهما لا يتعديان حدود العقد الميلودرامية التي تصف بالابتعاد عن الواقع والعنف الشديد الا ان روح ويبستر الهادئة وملكته الشعرية القوية ترتفع بهما من مستوى الميلودراما الى عالم المأساة ولكن ينقص مسرحه التقدم المطرد للفعل المسرحي ، فجاءت مسرحياته مفككة مشتتة ينقصها الاحكام فهي بتكديس على غرار ما يحدث في طراز المعمار القوطي منها بعرض متصل يتطور وينمو نحو ختام واحد مفرد . كما ينقصه حسن التركيب

فالمؤلف لا يبالي بالعقدة بأكملها قدر مبالاته بالمشاهد المسرحية ذات الواقع العظيم في النفوس . واهتمامه بالعرض الدقيق للشخصية لا يوازي اهتمامه ببعض لحظات العواطف الجامحة . ان جو مؤلفات ويبستر الاخلاقي يختلف عن جو مؤلفات شكسبير فلدى الاول يشكل الحب الموضوع الوحيد للمأساة ، واما الشر فرغم انه يلقى جزاءه في النهاية فانه يوجد في كل جزء من اجزاء الفعل المسرحي . فعلى الرغم من القسوة الوحشية التي تسيطر على العالم والدوافع الفاسدة التي تسير الشخصية فان الجرأة والكرامة تضيفان مسحة من العظمة على حياة الشخصية رغم انعدام الفضيلة والنبل لديها . ويوحي لنا ويبستر عبر مقطوعاته الشعرية في مآسيه ان الحياة تبعث على الاشفاق دون ان يؤدي ذلك الى الهبوط الى مستوى العواطف السطحية والتأكيد على ان العنف والفساد والعواطف الجامحة امور لابد منها في الحياة . (١٧)

وتبرز في اسلوبه صفتان مميزتان اولاهما ان الحوار كثيرا ما يكون كثير الالتفاف والتعقيد وفي الفقرات التي يغلب عليها الوصف يستدق الحوار حتى ليكون في حدة الحكم القاطعة . وصور مفرداته تأتي مباغتة ومتنوعة كثيرة التورية مثيرة للحواس . وثانيهما ان فقراتها الرائعة غالبا ما تكون شديدة القصر تساق باسلوب متوتر . واذا طالت الاحاديث كانت اما وصفا مقصودا وهي تكون عادة بالنثر واما قطعا جاهزة كرواية حلم او حكاية او عرضا مدروسا لقضية في قاعة محكمة (١٨) وشخصياته لا تقوم فقط على اساس ما بينهما من تعاطف وتنافر بل نجد ان قصة كل منها مرتبطة ارتباطا لا انفصام له مع قصص غيرها من الشخصيات بحيث تصبح كل حادثة سببا ينتج عنه حوادث اخرى ، وقد اوضح ويبستر ان ما يأتيه شخص لا يقتصر اثره عليه بل يمتد الى غيره من الناس ان فعلا سيئا واحدا يجلب معه سيئات اخرى . (١٩)

* * *

ظهر – جون فليجر – ١٥٧٩ – ١٦٢٥ و – فرانسس برمونت – ١٥٨٤ – ١٦١٦ في اواخر حياة شكسبير المسرحية وكتبا العديد من المسرحيات المشتركة وقدماها بناء على حاجة الممثلين والمسارح انذاك وقد تناول الكاتبان بسخرية لطيفة رغبة المواطنين الجنونية في الامور الرومانتيكية السخية كما سخرا من غرور الناس وكبريائهم (٢٠) . وجاءت مسرحيتهما – فلاستر – ١٦١٠ مبشرة بالمأساة الكوميديا التي ازدهرت في القرن الثامن عشر . فنحن نرى ان المشهد بعيد عن الواقع وان كثيرا من الدوافع فيها تتشابه مع دوافع الملهاة الرومانتيكية على الرغم من ان مواقفها المتعددة كانت تقدم على المسرح بنفس الجدية التي تقدم بها الماسي . وليس لشخصيات المسرحية من القوة ما يسمح لها بالوقوف بمفردها فهي وجدت لتؤدي دورها في المشهد الذي تظهر فيه وعندما تتساقط خارج هذا الاطار المزدحم بالحوادث في نهاية المسرحية يهملها الكاتب وكأنها لم تكن موجودة سابقا . (٢١) ويختلف مسرحهما عن مسرح شكسبير بخطورة موضوعات مسرحياته وتركيزه على العناصر الشاذة وحل العقدة بصورة اصطناعية وليس عن طريق الموت

ولا يتم تصوير الشخصيات عن فكرة واضحة لان اهتمام الكاتبين ينصب على الحوادث دون الشخصيات . (٢٢)

★ ★ ★

كتب – جون فورد – ١٥٨٦ – ١٦٤٠ مؤلفات تتصف بالطابع الفردي، كان فورد يؤمن بالقدر ويتصف بالكآبة ويحتقر الناحية الخلقية مؤمنا ان المشاعر تبرر كل شيء ، تجذبه الامور الشاذة الغريبة ومع ذلك فهو شاعر حقيقي تمتاز مؤلفاته بالعناية والتناسق وضبط النفس . وتمتاز جميع مسرحياته بمعالجة ماهرة للعواطف واسلوب انيق . وتبين لنا مسرحية – القلب الكسير – مقدرة فورد على كتابة المأساة فهي من ماسي الفزع التي تسمو بالعواطف فيستعاض بها في النهاية عن القيم الاخلاقية . ويسودها جوشبيه بالجو الومانتيكي الذي يبرر الحب المحرم بين – جوفاني – واخته – انابيلا – في مسرحية – وا اسفاه انها عاهرة – التي يتميز شعرها بالقوة والمتانة الا ان مشاهدها ذات التركيب الغريب مليئة بمناظر الفزع التي تصل ذروتها في المشهد الذي يقتل فيه – جوفاني – – انابيلا – ويهرع الى الضيوف شاهرا سيفه الذي يحمل قلبها في نهايته . (٢٣) وقد امتازت هذه المسرحية بالمشاعر القوية التي لا يمكن مقاومتها فقد اعيدت هنا – وبعد جيل – العواطف العنيفة لروميو وجولييت ولكنها ملطخة بالخطيئة . وتتعاقب الميلو دراما في هذه المسرحية الا انا نجد في شعور الجبرية الذي يسود المسرحية حقيقيا . ان الاثر الذي تحدثه كتابات فورد عميق بقدر ما هو مؤلم ، وطابع مسرحياته جاف قاس عديم الحركة صاعق . ثم ان اصراره على تصوير مشاهد العذاب سواء كانت شاذة او جميلة هو دليل على التدهور ولكنه كفنان يحتل منزلة عالية . (٢٤)

وهكذا نجد بوادر الرومانتيكية كانت موجودة منذ العصر الاليزابثي ، فنحن لا نجد التزاما جافا بالقواعد القديمة بالاضافة الى ظهور – المأساة العائلية – و – المأساة الكوميدية – وملامح – الميلودراما – في فترة سابقة على تطورها الذي ساد الادب الاوربي في القرن الثامن عشر .

والميلودارما : مسرحية شعبية ، تبدأ وقد تجمعت النذر بان كارثة على وشك الوقوع ثم تحدث الكارثة فعلا في الفصل الثاني فيموت بعض الناس ممن يحميهم البطل ولكنه على استعداد لنسيانهم دائما اذا عادت حبيبته او اذا قتل غريمه ، وفي الفصل الثالث يتزايد عدد القتلى ويتأزم الموقف جدا ويزداد الامر غموضا والتباسا ، ويظهر البطل في صورة انسان شديد السذاجة والبراءة وهو يواجه غريمه الشرير الذكي الحاذق ، ولكن البطل رغم ذلك فهو شجاع الى درجة مخيفة يستطيع ان يقتل غريمه ببساطة في الفصل الاخير ويحتاج الموضوع الميلودرامي الى حوار متدفق شديد الحيوية والى تجنب المواقف الفاترة وتمتاز لغتها بأنها بسيطة وليست عالية كما في المأساة لكي تكون قريبة من ادراك الجماهير الشعبية التي ترتاد مثل هذا النوع من المسرحيات .

★ ★ ★

اغلقت دور التمثيل عام ١٦٤٢ بمرسوم من البرلمان جاء فيه : – ان روح اللهو والتسلية العامة لا تنسجم وفواجع العصر الذي نعيش فيه كما ان التمثيليات المسرحية لا تتفق وروح التواضع – الا انه بالرغم من

ذلك فقد تم تمثيل بعض المسرحيات بصورة خصوصية وتم طبع عدد منها رغم حظر تمثيلها . (٢٥) لقد بدأ الخصام بين جماعة المتطهرين ـ الذين ازداد نفوذهم في عهد كرومويل ـ والمسرح منذ نجاح المسرح الشعبي في كسب محبة الجمهور . وطالما كان المسرح يحميه الملك والرأي العام فقد شعر الكتاب والممثلون بانهم من القوة ما يجعلهم قادرين على ان يستهزئوا بخصومهم ويتحدوهم ويثيروهم بفضائحهم . فلما اعتلى المتطهرون كراسي الحكم غلقوا دور التمثيل وبقيت مغلقة ثماني عشرة سنة حتى اعيدت الملكية الى بريطانيا . (٢٦)

عاد الملك تشارلز الثاني الى عرشه عام ١٦٦٠ وعاد معه جماعة من فرسانه الموالين الذين شاركوه المنفى في فرنسا . وقد انضم هؤلاء الى الكثيرين من بني وطنهم الذين يتوقون الى احياء المسرح ، وكان جمهور المسرح يتكون من فرسان الملك وقلة من اهالي لندن ، لذا اتجه كتاب المسرح الى مسرحيات صاخبة تستهوي جمهورا ينزع بطبيعته الى الصخب والمجون ، وقد اختلف المسرح عما كان عليه في العصر الاليزابثي من عدة وجوه :

اولا : اصبح المسرح مسقوفا واختفى المسرح المكشوف مما امكن اضاءته .

ثانيا : ادخال المناظر والديكور مما خفف على الكاتب الاسهاب في وصف مكان الحدث .

ثالثا : الميل نحو المبالغة واصطناع الحبكة والشخصية

رابعا : ادخال العنصر النسائي بعد ان كان الغلمان يقومون بادوارهن .

خامسا : تقديم فواصل موسيقية غنائية راقصة بين فصول المسرحيات العادية استجابة لرغبة جمهور سئم المسرحيات التقليدية باصولها وقيودها ، اذ كان رجال العصور ونسائه يحبون المشاهد الاستعراضية وكانت الموسيقى والرقص يستهويانهم . (٢٧)

ومن ابرز كتاب عودة الملكية ـ جورج ايثريج ـ ١٦٣٥ ـ ١٦٩١ ، الذي تأثر بملاهي موليير رغم انه لا يتصف الا بجزء يسير من براعة موليير وافتقاره الى رقته ، وقد استقبل الجمهور مسرحياته بحماس وقد بدأت ـ ملهاة الاداب ـ بالظهور ، وسار ـ وليم ويجرلي ١٦٤٠ ـ ١٧١٦ في نفس الطريق في جميع ملاهيه التي قدمها ولكنه كان اكثر براعة من سابقه في البناء المسرحي واخر كتاب مسرح ـ ملهاة الاداب ـ في فترة عودة الملكية ـ وليم كونكريف ـ ١٦٧٠ ـ ١٧٢٩ ، وابرزهم في هذا المجال . فقد اختلفت ملاهيه عن المهازل المسرحية التي كتبها معاصروه ومن سبقه في المسرح الانكليزي . فالملهاة تختلف عن ـ المهزلة ـ لان الاخيرة تجعل الحوادث الاعتباطية الطارئة مدعاة لاضفاء صفة الهزل والفكاهة على شخوصها. كما تختلف الملهاة عن مسرحية ـ المكائد ـ التي تنتهي نهاية سعيدة والتي ادخلها النقاد ضمن نطاق الملهاة لسهولة التصنيف . اما الملهاة فتعتمد على فهم عميق للمجتمع وان تكون مرآة صادقة تعكس لنا انحراف العصر عن الطريق السوي وابتعاده عن المفاهيم المتعارف عليها . وقد كانت ملاهي عودة الملكية تتعلق بالابتعاد عن الاداب الاجتماعية والافتقار الى سرعة البديهة. واذا اتسمت ملاهي عصر عودة الملكية بالخلاعة فذلك يعود الى انها مستمدة من روح المجتمع الانكليزي انذاك . ويختلف ـ كونكريف ـ عن شكسبير

في انه صور في مسرحياته عالما واحدا فقط وقيما ومعايير معينة حيث تسود مفاهيم مقننة وهو عالم لا تدخل الاحزان والفواجع بابه كما ان اظهار العواطف فيه يعتبر ذوقا غير سليم . الا ان الظرف والفطنة امران لازمان له ، وان طرق المواضيع الاخلاقية لما يبعث على الملل والسأم وينبغي بالدرجة الاولى ان لا تتميز الاحاديث بالصراحة (٢٨) . اما ـ جورج فاركوار ـ ١٦٧٨ ـ ١٧٠٧ فقد اشترك مع ـ كونكريف ـ في النهج الخليع الذي كتبا فيه مسرحياتهما ولكن تفتقر مسرحيات ـ ملهاة الاداب ـ التي كتبها الى الجو النفسي ، وهو يستخدم اسلوب المهازل لا فن الملهاة كما انه لم يلجأ الى اثارة العواطف الا نادرا وهي الموجة التي طفت على الادب المسرحي فيما بعد . (٢٩)

ومن الالوان المسرحية التي ظهرت في عصر عودة الملكية ـ المأساة البطولية ـ وهي تعالج موضوعات الحب والشرف باسلوب فخم مؤثر في مشاهد غير واقعية ، وقد اهتم بها الكاتب والناقد ـ درايدن ـ ١٦٣١ ـ ١٧٠٠ . وهي تعالج موضوعا نبيلا باسلوب نبيل وهو الشعر الذي يربط القافية بين كل بيتين من ابياته ويجدر بهذا النوع من المسرحيات ان تعالج موضوعا واحدا من الاحتفاظ بقانون الوحدات المسرحية قدر الامكان وقال فيها درايدن : ـ ينبغي على المسرحية البطولية ان تحذو حذو الملاحم الشعرية بعض الشيء ـ وقد اخذ عن ـ ارسطو ـ انه ينبغي ان يكون الحب والشهامة والشرف اساسا للفعل المسرحي . وقد كتب درايدن عن مسرحية ـ فتح غرناطة ـ التي ظهرت عام ١٦٧٠ وهي اشد المسرحيات البطولية خيالا واكثرها اطنابا ـ ان كان الحب والشرف قد وصلا مرتبة سامية فليس الفضل في ذلك للشاعر وانما الى العصر الذي يعيش فيه . ان الذكاء والفطنة قد وصلا منزلة اعلى مما كانت عليه وان لغتنا القومية اصبحت اشد رقة وانطلاقا ـ . (٣٠)

وتأثر دريدان بشكسبير في كتابة مسرحيته في سبيل الحب المستمدة من مسرحية شكسبير انطوني وكليوباطرة .

(١ ـ ٤) برادلي التراجيديا الشكسبيرية ص ١٨ ، ٨٢ ، ٨٣ ، ٩٢

(٥) احمد خاكي ، شكسبير ، ص ١٦٣ .

(٦ ، ٧) ايفانز المصدر السابق ، ص ٨٠ ، ٨١ .

(٨) ايفانز ، المصدر السابق ، ص ٨٦ .

(٩) لكوى ، الموجز في تاريخ الادب الانكليزي ، ترجمة الدكتور يوئيل عزيز ـ مخطوط ـ.

(١٠) ايفانز ، المصدر السابق ص ٩١ ـ ٩٢ .

(١١ ، ١٢ ، ١٣) لكوى الموجز في تاريخ الادب الانكليزي ، ترجمة د. يوئيل عزيز ، ـ مخطوط ـ .

(١٤) ايفانز ، المصدر السابق ، ص ١٠٥ .

(١٥) جون ويبستر ، الشيطانة البيضاء ، تقديم داؤد حماد ص ١٦

(١٦) لكوى ، الموجز في تاريخ الادب الانكليزي ، ترجمة د. يوئيل عزيز ـ مخطوط ـ .

(١٧) ايفانز ، المصدر السابق ، ص ١٠٧ ـ ١٠٩ .

(١٨) جون ويبستر ، الشيطانة البيضاء ، ص ٢٧ .

(١٩) المصدر السابق ، ص ٤٠ ـ ٤١ .

(٢٠) لكوى ، المصدر السابق .

(٢١ ـ ٢٢) ايفانز ص ١١٠ ، ١١١

(٢٣) ايفانز ، ص ١٢١ ـ ١٢٢ .

(٢٤) لكوى ، المصدر السابق .

(٢٥) ايفانز ، ص ١٢٣ .

(٢٦) لكوى ، المصدر السابق .

(٢٧) جون جي ، اوبرا الصعلوك ، تقديم : حسن عبد المقصود حسن ، ص ١١ .

(٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠) ص ١٢٥ ـ ١٣١ ، ١٣٦ ، ١٣٩ ، ١٤٠ ـ ١٤٠

ـ عن البيان الكويتية ـ

الشاعر

بوري بن ايوب

بقلم نبيل قصاب باشي

« ما أخذنا حلب رخيصة بقتل
تاج الملوك » صلاح الدين

اسمه ونسبه :

تذكر احدى المخطوطات المصورة لديوان هذا الشاعر اسمه ونسبه بأنه ـ مجد الدين تاج الملوك أبو سعيد بوري[1] بن أيوب ـ . ولو تتبعنا مصادر ترجمة هذا الشاعر لما وقعنا على اختلاف أساسي في اسمه ونسبه . ولكننا قد نجد بعض المصادر تسقط أحد أجداده ، على أن ذلك لا ينتهي بنا الى مشكلة في صحة نسبه أو عدم صحته . فابن خلكان يذكر أنه ـ تاج الملوك أبو سعيد بوري بن أيوب بن شاذي بن مروان الملقب مجد الدين وهو أخو السلطان صلاح الدين[2] » ، بينما يذكر صاحب ـ شذرات الذهب ـ أنه ـ تاج الملوك مجد الدين بوري أخو السلطان صلاح الدين »[3] . ويذكر ـ صاحب الخريدة ـ اسمه فيقول : « هو أبو سعيد تاج الملوك بوري بن نجم الدين بن مروان. أصغر اخوة صلاح الدين » . أما صاحب « مرآة الزمان » فيذكر أنه : « تاج الملوك بوري بن أيوب أخو صلاح الدين أبو سعيد »[5] .

ويذكر صاحب معجم المؤلفين اسمه أيضا بأنه « بوري بن أيوب بن شاذي بن مروان الايوبي، الصالحي تاج الملوك ، مجد الدين أبو سعيد »[6]

وعلى هذا نرى أن « ابن خلكان » و « كحالة » تفردا بترجمة خاصة عندما أضافا الى نسب الشاعر بعضا من أجداده فقالا انه : « ابن شاذي ابن مروان » ومثلهما صاحب الخريدة عندما قال انه « بوري بن نجم الدين ابن مروان » . .

والحق أن المصادر التاريخية تجمع على أنه ينتمي الى بني أيوب أولا ، وأنه أخو صلاح الدين لا شك في ذلك ثانيا ، ولكنه من المعلوم أن المصادر التاريخية تختلف في ـ كثير من الاحيان ـ اختلافات جذرية حينا ويسيرة أحيانا ، في التحقيق من أسماء الشعراء وأنسابهم . على أننا لا نجد ـ ههنا ـ اختلافا جذريا في ترجمة اسم هذا الشاعر ونسبه ، وقد يكون لذلك أسباب لا تغرب عن البال ، وهي أن الشاعر عاش في عهد كانت فيه أصول التدوين والكتابة قد استتبت أركانها وتطورت من جهة ، وأنه كان أخا لرجل عظيم شغل التاريخ الاسلامي فترة حضارية نضالية لم يشغلها رجل تاريخ مثله من جهة ثانية ، ويضاف الى هذا أن المصادر التاريخية كانت تنقل ترجمته نقلا حرفيا أمينا كل ذلك جعل هذه المصادر تتفق اتفاقا لا بأس به على ترجمة اسم هذا الشاعر ونسبه[7]

مولده ووفاته :

أجمعت كتب التراجم[8] أن ولادة الشاعر « بوري ابن أيوب » كانت في ذي الحجة سنة ٥٥٦ هجرية . أما احدى مخطوطات ديوان هذا الشاعر فتذكر أن ولادته كانت في ٢٧ ذي الحجة سنة ٨٨٤ (هكذا) .

والذي أراه أن الناسخ قد يكون وقع في شيء من التحريف والتصحيف في نقله لزمن ولادته . وقد تكون سنة ٨٨٤ محرفة أو مصحفة عن سنة ٥٥٦ ، أما وفاته فتجمع مصادر٩ التراجم أيضا بأنها كانت سنة ٥٧٩ ، ولكنها تختلف بعض الاختلاف في تحديدها لليوم والشهر ، فوفيات الاعيان تذكر أنه توفي في يوم الخميس من شهر صفر بتاريخ ٢٣ منه . أما « خريدة الدهر » فتنقل عن الروضتين بأنه توفي في ١٩ صفر . ويذكر صاحب الروضتين مكان دفنه فيقول : « ودفن بمقام ابراهيم ظاهر حلب ثم نقل الى دمشق » . ولقد كانت أسباب وفاته أن أصيب بطعنة في ركبته . وكان يومها في مدينة حلب عندما حاصرها أخوه صلاح الدين – رحمه الله – – كما يذكر ابن خلكان – .. ويقول العماد الاصفهاني في البرق الشامي : « ان صلاح الدين كان قد أعد لعماد الدين صاحب حلب ضيافة في المخيم بعد الصلح وقبل دخوله البلد ، فبينما هو جالس على السماط وعماد الدين الى جانبه ونحن في اغبط عيش وأتم سرور اذ جاء الحاجب الى صلاح الدين واسر اليه بموت أخيه فلم يتغير عن حالته وأمر بتجهيزه سرا ، وأعطى الضيافة حقها الى آخرها ، ويقال : ان صلاح الدين كان يقول : ما أخذنا حلب رخيصة بقتل تاج الملوك.١٠

ولكن صاحب الخريدة يرى أن أسباب وفاته كانت نتيجة اصابته بسهم في عينيه ، مات منه بعد أيام والذي يعنينا من هذا وذاك انه مات قتلا نتيجة هذا الجرح الاليم ولم يمت حتف انفه طريح البيت والفراش

صفاته واخلاقه :

لعل الحديث عن صفات هذا الشاعر واخلاقه لن يكون وافيا ومنصفا في هذه العجالة اذ لا بد من الرجوع بشكل جدي الى مصادر ترجمته أولا ، والى دراسة شعره دراسة مستفيضة ثانيا ، ولكننا – ههنا – لا يتسع لنا المجال في هذا كله . لذلك سنورد بعض اخبار مترجميه الذين تحدثوا بعض الحديث عن اخلاقه وصفاته ، لا شك أن أسرة بني أيوب أسرة جهاد ونضال ولقد كان لهذه الاسرة فضل عميم في تحرير الارض العربية من جشع الصليبيين وغطرستهم ، ولاغرابة أن يكون « تاج الملوك » قد تخلق بأخلاق هذه الاسرة ، فناضل وقاتل حتى سقط شهيدا كما سقط غيره من شهداء العقيدة والاسلام . ولا غرابة أيضا أن يثني عليه مترجموه ، وأن يقول عنه صاحب الروضتين١١ مثلا « وكان تاج الملوك نسابا ، حسن الشباب ، مليح الاعطاف ، عذب العبارة ، حلو الفكاهة ، مليح الرمي بالقوس والطعن بالرمح ، وكان شجاعا باسلا مقداما » على الاهوال ، وكان قد جمع الى ذلك الكرم والتفنن في الادب » . ويقول عنه صاحب « النجوم الزاهرة »١٢ أيضا : « وكان قد جمع فيه محاسن الاخلاق من مكارم وشيم ولطف طباع مع شجاعة وفضل وفصاحة ، وكان شاعرا بليغا » .

وبمثل هذه الصفات الحميدة والخصال الرفيعة يذكره صاحب « مرآة الزمان » وصاحب « الخريدة » وغيرهما ممن ترجموا لحياته وصفاته وأخلاقه وأخباره

ولكن السؤال الذي يطرح نفسه هنا :

هل كان « تاج الملوك » ماجنا يؤثر عيشة اللهو والعبث والمجون ، كما يتبدى لنا ذلك من خلال بعض أشعاره ؟؟ واذا صح عنه ذلك ، هل كان على جانب كبير من هذا العبث والمجون ؟؟؟ .

ثم كيف لنا ان نفسر هذا التناقض بين اقوال المترجمين في انه كان ذا اخلاق حسنة ، وانه لم يكن ماجنا سكيرا – لانهم لم يذكروا ذلك عنه – وبين قوله في احدى مقطوعاته١٣ :

فاشرب وسق الشرب صافية
فالعيش بين الشرب والشرب
فاشرب وهات وغنني طربا
ان الغناء مسوغ الشرب

أو قوله :

فآت بالكأس قد تمالسرور لنا

شاد وراح وريحان ومحبوب

وأخيرا ، هل كان حديثه عناللهو والخمرة حديث تقليد وافتنان في القول كأكثر عادات الشعراء ؟؟ أم كان ذلك منه عن وصف واقعي وتجربة حقيقية ؟؟؟؟

الحق ، انه لا يمكننا أن نجيب على مثل هذه الاسئلة دون أن نقف على ترجمة حياة هذا الشاعر كلها وعلى دراسة شعره دراسة استقرائية مستفيضة ــ كما ذكرنا ذلك آنفا ــ ولكننا نرجح أنه كان علىجانب لا بأس به من الخلق الرفيع والسيرة الحسنة . وأن شعره في اللهو والخمرة والتمتع بالحبيب شعر تقليد وافتنان في أساليب القول وأغراضه ليس غير !! . .

قيمته شأناً وشعراً :

لا شك أن تلك الصفات التي أغدقها على الشاعر مترجموه ، تطلعنا على تلك المكانة الرفيعة التي تبوأها هذا الشاعر ، ونحن نعلم أن صلاح الدين حزن حزنا شديدا وبكى يوم مات أخوه ــ كما يذكر صاحب الخريدة ــ وهذا مايجعلنا نوقن بأن لتاج الملوك مكانة محببة من نفس أخيه !! . .

ولكن !! لماذا لم يبزغ نجم هذا الشاعر بزوغا متألقا كما بزغ نجم غيره من الشعراء الذين عاصروا صلاح الدين ومدحوه كالشاعر « ابن سناء الملك » و « ابن القيسراني » و « البهاء زهير » وغيرهم كثير ؟؟ هل نرد ذلك الى انه كان صغير السن ؟؟ اذا كان كذلك فلا بد انه كان علىمكانة رفيعة لانه انشأ ديوان شعر وهو بعد لم يتجاوز الثالثة والعشرين منعمره ؟ فهو شاعر شاب صغير ــ اذن ــ لا ندري ماذا كان يخبىء له القدر لو أتاح له فرصة من العمر مديدة ؟!! ولكن السؤال الذي يطرح نفسه ! لماذا لم يهتم صلاح الدين بموت أخيه عندما وافاه نبأ هذا الحادث الجلل ؟؟ ثم لماذا أمر بتجهيزه ودفنه سرا ؟؟ « يقول العماد الاصفهاني في البرق الشامي : ان صلاح الدين كان قد أعد لعماد الدين صاحب حلب ضيافة في المخيم بعد الصلح وقبل دخوله البلد ، فبينما هو جالس على السماط وعماد الدين الى جانبه ونحن في أغبط عيش وأتم سرور اذ جاء الحاجب الى صلاح الدين وأسر له بموت أخيه ، فلم يتغير عن حالته وأمر بتجهيزه ودفنه سرا ، وأعطى الضيافة حقها الى آخرها ، ويقال : ان صلاح الدين كان يقول : ما أخذنا حلب رخيصة بقتل تاج الملوك١٤ وهذه الرواية شبيهة من بعض جوانبها برواية «امرىء القيس » عندما وافاه نبأ قتل أبيه فقال : « اليوم خمر وغدا أمر لا صحو اليوم ولا سكر » . ولكن امرىء القيس هذا كان في حالة سكر أولا ، وكان ذا جأش قوي ثانيا ، ثم انه قد يكون أراد الحكمة من وراء هذا الصمود النفسي . ولهذا رأيناه بعد ذلك يسعىفي الارض ليعد العدة كي يثأر من قتلة أبيه . أما صلاح الدين فماذا فعل عندما وافاه نبأ موت أخيه ؟؟ انه لم يتغير عن حالته وأمر بتجهيزه ودفنه سرا ، وأعطى الضيافة حقها الى آخرها !!!! .

هل تقتضي عادات الضيافة وتقاليدها أن يظل صلاح الدين على هذه الحال من السمر والسرور ؟؟ أم هل كان صلاح الدين مهتما بهذه الضيافة اهتماما بالغا شغله عن الاهتمام بوفاة أخيه ؟؟ وهل كان هذا الاهتمام يعود على الامة بشيء من الصلاح والقوة ؟؟ والا ماسر هذا الامر !!؟؟ الأن أخاهكان ذا قيمة وضيعة لا يليق بها اهتمام جدي أو احتفال بتأبين ؟؟!! أم لأن أخاه كان صغير السن لا يحتاج لهذا كله ؟! ولكنه اذا كان صغير السن ألم يكن أخا لعظيم من عظماء الجهاد ورجالاته ؟؟ ثم كيف لنا أن نفسر هذا التناقض فيرواية « العماد الاصفهاني » وفي رواية « صاحب الخريدة» أيضا : أما العماد فيقول : « ويقال ان صلاح الدين كان يقول : ما أخذنا حلب رخيصة بقتل تاج الملوك »١٥ ، ويروي « صاحب الخريدة » قوله : « وحين حاصر صلاح الدين حلبا ٥٧٩ أصاب تاج الملوك بوري سهم

في عينه فمات منه بعد أيام وحزن عليه صلاح الدين حزنا شديدا »١٦

الحق انه قد يستعصي علينا تفسير هذا التناقض بين عدم اهتمام السلطان صلاح الدين بموت اخيه وبين ما يرويه صاحب الوفيات وصاحب الخريدة بأن لاخيه مكانة محببة ومنزلة رفيعة من نفسه وكيانه !! هذا ، من حيث قيمته الشخصية ومكانته ، فما هي قيمته الشعرية ؟؟ لقد أجمع أكثر مترجمي حياة هذا الشاعر على أن له ديوان شعر حسن ، فابن خلكان يقول : « وكانت فيه فضيلة ، وله ديوان شعر فيه الغث والسمين ، لكنه بالنسبة الى مثله جيد » ولكن صاحب « مرآة الجنان » يرد على ابن خلكان قوله فيقول : « قلت : وجميع أشعاره هذه ليس فيها شيء من الغث الذي ذكر عنه بل كلها من السمين الحسن ، المنبىء عن فضيلة اللسن »١٧ ، ويذكر صاحب الشذرات بأن تاج الملوك « كان أديبا شاعرا له ديوان صغير » ، ثم لا ينسى أن يثني عليه وينعته بالفصاحة وبمثل هذا يذكره صاحب «مرآة الزمان» . أما صاحب «الاعلام» فيقول : « وفي شعره رقة » ، ويصف صاحب الروضتين ديوانه فيقول : « وله ديوان شعر حسن متوسط » ، فهذه الاخبار جميعها ـ اذن ـ تجمع على أن للشاعر ديوانا من الشعر جيدا ، الا أن ابن خلكان يصفه بأنه ديوان يجمع بين الغث والسمين . والحق هذه الصفة صفة عامة لدى معظم شعراء العربية . فما من شاعر الا ويأتي بالشعر الجيد تارة وبالشعر الرديء تارة أخرى ، وللنقاد العرب القدامى آراء نقدية في هذا الصدد ترصد تقييم الشاعر اذا كثر جيده وقل رديئه أو كان العكس هو الصحيح ، لهذا نرى ابن خلكان يقول بعد ذلك : « لكنه بالنسبة الى مثله جيد » ، وبمثل هذا ينعته صاحب الروضتين فيقول : « انه ديوان شعر حسن » والحق يقال : اننا لا يمكن أن نحكم على الشاعر وشعره الا اذا عرجنا على شعره نمعن النظر فيه ، ونستقصيه استقصاء نقد وتحليل ، وهذا ما لا يتسنى لنا ـ ههنا ـ في هذه العجالة اليسيرة ، لهذا نقتصر على ما أوردناه من أقوال مترجمي حياة الشاعر وما قالوه في شأن قيمته الشعرية فحسب ، وان كان ذلك لا يفي بحق الشاعر وشعره .

نماذج من شعره :

يا قلب ان بعد المزار بمن
تهوى فلا تيأس من القرب
الدهر أقرب ان صبرت على
تسهيل هذا المطلب الصعب
يا صاحبي كن في محبته
لي منقذا ان كنت من صحبي
عج بي على من شفني كمدا
وصبابة بالتيه والعجب
سر بي ولا تسأم لعل ترى
عيني غزيل ذلك السرب
سل بي عسى تنبيك مقلته
من ذا أباح للحظها سلبي
غصن رطيب فوقه قمر
متبسم عن لؤلؤ رطب
يسطو بمقلته فتحسبه
يسطو عليك بصارم عضب
يلهو ويلعب كلما لعبت
بي من هواه صبابة الحب
فكأنني عصفورة وقعت
في كف طفل فارغ القلب
فغدا يعذبها براحته
فرحا بها والطفل في لعب١٨

وقال أيضا :

رحلتم وخلفتم بقلبي صبابة
لها جمرة في القلب ذات تلهب
فأظلمت الدنيا غداة مسيركم
الى أن تساوى كل صبح وغيهب
فياكبدي ذوبي ويا أضلعي قدي
ويا مهجتي بيني ويا أدمعي اسكبي
ويا حسرتي زيدي على الدهر حسرة
لفقد مريحي في الهوى ومعذبي
عفا الله عنه من حبيب ألفته
كثير التجني في الهوى والتجنب

فقلبي على حفظ المودة ثابت
ولكن لـه قلب كثير التقلب
سأبكي على عيش مضى بدنوه
رقيق الحواشي سابغ الظل طيب
وليل به قضيته يخجل الضحى
بطيب أحاديث وطيب تعتب
غنيت بـه عن بـدره وبكاسه
وقد مزجت أن أستنير بكوكب١٩

وقال أيضا :

فـوالله لا حـدثت نفسي بسـلوة
ووالله لا أضمرت شيئا سوى الحب
وانـك في عيني لاحلى مـن الكرى
واشهى الى قلبي من البارد العذب

وقال أيضا :

يا حبـة القلب الـذي أضـرم فيها لهبـا
ما بـال ميعادك لي أضغاث حـلم وهبـا
فديت هـذا الوجـه ما أحسنه وأعجبـا
يا غصنا راح الصبا يثنيه لا ريـح الصبـا
ما أن بـدا للعين الا ارتـاح قلبي وصبـا
مـا زال يـا معـذبي عن نـاظري محتجبا
اكان تيهـا منك يا كل المنى أم غضبـا٢١

وقال أيضا وقـد وصل اليـه الخبر أن المواصلة يريدون المصاف :

الا قـل لاحبابنـا مـالنـا
وفيـم هجرنـا ومـا بالنـا
أمـا مـن كتاب ولا مبـلغ
سـلامـا يخفـف أثقالنـا
أيحسـن مـن مثلكـم أنـكم
تطيـلون في البعـد اهمالنـا
ترى غـير البعـد أحوالكم
كمـا غـير البعـد أحوالنـا
ليهنكـم أننـا بعدكـم
لقينـا مـن الدهر ما هالنـا
وانـا لنأمـل طيب اللقـا
فـلا خيب الله آمالنـا
ولا بـد ممـا نـلاقي العـدو
فاما علينـا وامـا لنـا

---

١ - « وبوري - بضم الباء الموحدة ، وسكون الواو ، وكسر الراء ، وبعدها ياء مثناة من تحتها - وهو لفظ تركي معناه بالعربية ذئب » انظر « الاعلام » و « وفيات الاعيان » و « مرآة الجنان » .

٢ - انظر ترجمة « وفيات الاعيان وأنباء أبناء الزمان لابن خلكان ج ١ ص ٢٩٠ رقم الترجمة ١٢١ ط صـادر بيروت - تحقيق د - احسان عباس .

٣ - انظر ترجمة « شـذرات الذهب في أخبار من ذهب » لابن العماد الحنبلي ، ج ٤ ص ٢٦٥ - السنة ٥٧٩

٤ - فريدة الدهر ج ١ ص ٣٩٩

٥ - مرآة الزمان ج ٨ ص ٣٧٨

٦ - معجم المؤلفين لكحالة ج ٣ ص ٨١

٧ - وانظر ترجمة هذا الشاعر أيضا في « مرآة الجنان وعبرة اليقظان » لليافعي ج ٣ ص ٤١٤ - ٤١٥ و « الاعلام » للزركلي ج ٢ ص ٥٦ نقلا عن وفيات الاعيان ج ١ ص ٩٤ ، ط مكتبة النهضة المصرية - ومرآة الجنان ح ٨ ص ٣٧٨ وانظر « هدية العارفين » للبغدادي ج ١ ص ٢٤٣

٨ - انظر المصادر السابقة .

٩ - انظر المصادر السابقة .

١٠ - وفيات الاعيان - ج ١ ص ٢٩٠ - رقم الترجمة ١٢١

١١ - ج ٢ ص ٤٤

١٢ - ج ٦ ص ٩٦

١٣ - انظرها في احدى نسخ ديوان الشاعر المخطوط برقم ١١

١٤ - وفيات الاعيان ج ١ ص ٢٦١ رقم الترجمة ١١٨ ط : مكتبة النهضة المصرية .

١٥ - المصدر السابق .

١٦ - فريدة الدهر ج ١ ص ٣٩٦

١٧ - مرآة الجنان وعبرة اليقظان لليافعي ج ٣ ص ٤١٤-٤١٥

١٨ - انظر هذه المقطوعة في احدى نسخ ديوان الشاعر برقم ١١

١٩ - انظر هذه المقطوعة في احدى نسخ ديوان الشاعر برقم ١٢

٢٠ - انظر البيتين في النسخة نفسها برقم ١٥

٢١ - النسخة نفسها رقم المقطوعة ١٩

نبيل قصاب باشي - حماه

رسائل الاصدقاء

الى المؤلف الموسوعي الاستاذ حسان بدر الدين الكاتب

عودتني اريحيتك ان اتلقى اجزاء موسوعتك الموجزة جزءا بعد جزء ، وقد تلقيت منذ ايام الجزء الثامن من المجلد الثاني ، وهو خاص بحرف الدال . ورحت انتقل بين موضوعاته من موضوع شائق الى موضوع أشد تشويقا فالاعلام لهم مكانهم ، والتاريخ والجغرافيا ، والطب ، وعلم الفضاء ، والزراعة ، والسياسة ، والحقوق ، كلها لها مكانها الموجز الواضح ، المختصر الوافي ، اي المكثف ، فيطالع القراء ما يريدون في يسر ويستوعبونه في سهولة ، ويستسيغونه لانه مقدم باحسن طريقة .

ان الذي يدفعنا الى قدر هذا العمل العظيم حق قدره ، هو هذا التفاني الدائب ، بلا كلل ولا يأس ، من اجل مثل اعلى ، هو العطاء بلا مقابل ، وهو ما نكبره في الاستاذ حسان بقدر ما نفتقده في الاخرين فالقاعدة الذهبية في هذا الزمن الاخير صارت : ــ لا شيء بلا مقابل ــ ، وما يقوم به صاحب ــ الموسوعة الموجزة ــ لا يمكن اعتباره بمقابل ، فكلنا يعرف كم هي عاقة حرفة التأليف والنشر ، حين التزاحم على الرغيف والقميص يذهب بعقل الانسان وينسيه المكتبة والكتاب ، وحين الانسان في العالم الثالث ممزق بين خيارين لا ثالث لهما المرسيدس او اسوأ المصير ، حسب راي قرأته لمؤلف غربي .

فيا اخي حسان شكرا لك اقولها بلسان كل مواطن عربي ، شكرا لك يوم اخترت الطريق الاصعب ويوم انفقت من اجل اختيارك الصعب المجهود والمال ، ويوم يقدر لك مواطنوك عملك حق قدره ، ــ وهو يوم آت بلا ريب ــ ، ويوم يدخل اسمك في عداد الاسماء البارزة في امتك العربية ، وقد حصل ، والى الامام .

دمشق　　سعيد أبو الحسن

الى الاستاذ عبد العزيز الرفاعي
صاحب المكتبة الصغيرة

ــ المكتبة الصغيرة ــ دعامة قويةمن دعامات النهضة الادبية والفكرية للمملكة العربية السعودية ، وهي سلسلة كتب ثقافية ، على شاكلة ــ اقرأ ــ المصرية .. صدر منها حتى الان خمس وعشرون سلسلة ، تحت اشراف صاحبها الاستاذ عبد العزيز الرفاعي ، وعلى نفقته الخاصة ، له منها سبع مؤلفات ، والباقي لمؤلفين سعوديين شعراء وكتابا .

وللحقيقة فانها مجهود فردي ، لا نظير له ، مما يستحق عليها صاحبها لقب ــ المحسن الاديب ــ ... ذلك ان له فضل السبق على الادباء الاثرياء على انسانيتهم ، وتكريسا لشرف الكلمة التي اليها ينتمون آية الاديب العطاء ! ... وللادباء الفضل ، فيما يكتبون وافضلهم من اقال عثرة امثاله ، فأمدهم بالعون لابراز مؤلفاتهم لكي ينتفع بها الناس ، فلا تذهب هباء .

ولعلي لا اكون مغاليا ، اذا ما اشرت اليه بالتقدير ، فوضعته في مكانه المناسب ، واحللته منزله ــ افضل الادباء ــ .

وللانصاف فان الدكتور عبد السلام العجيلي هو من هذا الطراز وعسى ان يرقى مرتبته ، هو وامثاله من الموسرين .

مصياف　　مصطفى الخش

الى الاستاذ الشاعر مدحة عكاش

في الخريف . كل اشجار الغابة تصفر وتتساقط اوراقها . الا الصنوبر فانه يرتدي حلة خضراء طيلة الفصول .

وفي موسم الرياح والبروده . كل العصافير تغادر اعشاشها ، وتهاجر الى بلاد الدفء . الا النسور فانها تظل محلقة في الاعالي تتحدى الاعاصير ، وتقلبات الزمن .

وفي دنيا الكتابة . كل الصحائف والاوراق تبهت الوانها ، وتتلاشى خطوطها وتعابيرها الا الكلمة الطيبة ، فانها تبقى مقدسة على الارض ، مباركة في السماء .

ولقد كنت – انت – وكانت الثقافة . وستظل الصنوبرة الخضراء ، والنسر الاشم ، والكلمة الصادقة الطيبة التي تؤتي اكلها كل حين باذن ربها .

الاستاذ الشاعر . يا مبدع الحرف المجنح ، والصورة الموحية :

لقد عرفتك شاعرا تصوغ ذوب مشاعرك ، صبوات واحاسيس ، تقدمها لعشاق الشعر في آنية من زهر ملون . تتضوع عطرا يملأ الاجواء ، انداء ساحرة ، مخدرة ، لذيذه .

وعرفتك اديبا فذا تقدر الادب وتحترم الادباء . تسعى وراءهم في شتى الاصقاع والانحاء ، للكشف عنهم ، وازاحة النقاب عن الاقلام المبدعة ممن يعيش حملتها في الاماكن البعيدة ، والنواحي المغمررة . ولست اجد حالك في ذلك لا كحال غواص ماهر ، يبحر في اعماق اليم . بحثا من اللؤلؤ المكنون . فكم من لؤلؤة كانت شاردة ضائعة اخرجتها وصقلتها ثم زينت بها صدور الحسناوات ، بعد ان نظمتها مع اترابها في عقد نفيس ؟! .

وعرفتك صحافيا ناجحا . تعطي الصحافة انقى صفاء نفسك واكثر لحظات عمرك ، لتقدم للناس – كل الناس – رأيا حصيفا ، وفنا رهيفا . عليه مسحة انسانية من روحك ونفحة روحية من اصالتك . فكنت الجندي المجهول ، الذي يضحي بدمه من اجل بقاء احبابه .

وكانت – الثقافة – في رحلة ربع القرن الثالث من زماننا . منبرا حرا لكافة الاقلام الصديقة . يغرسون فيها بنات افكارهم وعرائس احلامهم ، حتى غدت كالحديقة الزاهرة ، تحوي من كل فن بهيج .

فكانت – عكاظا – اكاديميا للشعراء ، و مربدا حرا لنقلات المبدعين والمجددين من الفواة والاتقياء . محققا بذلك حرية افكر ، وحفظ حق الشاعر في القول والانشاء .

وكانت – الثقافة – المدللة . ملتقى ادبيا ، منتدى فكريا يتلاقى عشاق الحرف الموشى والكلمة المؤنقة على رحابه . فتتعانق الآراء ، وتتدافع الافكار لتشكل جداول ربيعية تفيض على حقول الخصب والابداع لتنتج لنا رطبا جنيا وتمرا شهيا ، لذة للناظرين والآكلين .

استاذي ابا عاصم :

لئن كنت اسفح اشواق المحبة امام نفسك الرضية ، واظهر حبي المنداح كروائح الطيب امام ناظريك . فاسمح لي – ايها الشاعر المبدع – ان اجعل من كلماتي هذه رسولا كريما يحمل اليك آيات الاعتراف بالجميل ، وفاء وتقديرا وعرفانا . بما لك من اياد بيضاء على الادب والادباء من ابناء هذا الجيل . ولعلها توفيك شيئا ضئيلا من الحق الكبير الذي هو دين لك في اعناق الكثيرين ، ولن ننسى ابدا ان العشرات من الكتاب والادباء الذين اصبحو رواد هذه الايام . هم الان ، وهم الان يتربعون على عدد من الزوايا

الى الاستاذ الشاعر مدحة عكاش

الصحفية والاركان الادبية قد تتلمذوا في مدرسة ـ الثقافة ـ وجربوا اقلامهم الغضة الفتية على صفحاتها الحبيبة . واعني ـ ثقافة ـ اواخر الخمسينات واوائل الستينات ـ فكنت لهم الاب الذي احتضن فلذات كبده ، والام المعطاء التي امدتهم بنسغ الحياة ، فيسرت لهم في جميع الحالات سبل النشر وذللت لهم مصاعب البدايات . فنما ريشهم فوق ملاعبك بعد ان كان زغبا . وتعلموا الطيران بعد ان علمتهم كيفية التحليق ..

استاذي ابا عاصم .. يا من تثنى الريحان على انغام شعرك فتمايل سكران ثملا ..

ان ما يدفعني لسفح عبير الشوق هذا . هو ما طالعتنا به في الايام الاخيرة من اعداد الثقافة الشهرية ، وما حوته من ثمرات الاقلام الكريمة اتي حفلت بكل ممتع مفيد ، ولعل ابدع هذه الاعداد وامتعها ما جاء خاصا بالشاعر عمر يحيى احد كبار اساتيذ هذا الجيل ، فكنت الوحيد الذي انصف هذا المربي الجليل والشاعر الاصيل الذي خدم الامة ستين عاما او يزيد . مناضلا عن شعبها ، ذائدا عن حياضها ، معلما ومربيا لطلبتها وابنائها . ممشقا في كل ذلك حسام القوافي . يصبها كشواظ من نار على رؤوس المرتدين والغزاة . فنفي وسجن ، وشرد وعذب ..

فلله ما أحسنك وانت تكرم علما من اعلام الامة!.

ولله ما اكرمك يوم وقفت في ـ حماة ـ النوعير عشية حفلة التكريم معلنا على رؤوس الاشهاد قيامك باعباء طبع ديوانه الشعري الذي لم تقم اية جهة قبلك بمثل هذه المبادرة الرائدة .

ولله ما اطيبك وانت تعلق لنا ، ونحن متحلقون حولك ـ لفيفا من كتاب الثقافة ـ في مكتب الثقافة انك ستبذل سعيك جاهدا لاقامة مهرجان تكريم ، واصدار اعداد خاصة من الحبيبة المدلله ـ الثقافة ـ عن نديم محمد ورفيق فاخوري وعبد السلام العجيلي وامثال هؤلاء الفنانين من الادباء الذين آلوا على انفسهم خدمة الامة في فكرها وتراثها، فمنحتهم الامة محبتها وثقتها.. بعد ان كرمت في السابق الدكتور وجيه البارودي وعمر يحيى ...

استاذي الكريم :

واخيرا .. اجدني عاجزا عن ايفائك ما تستحق من تقدير ووفاء ، فلقد كنت من البداية معلما لنا ، فتحت لنا قلبك فغمرتنا بالحب ، وفتحت لنا صفحات الثقافة فطالعنا عليها صفحات عمرنا ، ولا يسعني وانا انهي هذه الكلمات الا ان اقول : انك اشعلت للاجيال شعلة متوهجة ، وأضأت طريقا كان مظلما ، وتركت للتاريخ ملفا حيا من الوثائق الهامة في الادب والفكر ، سيذكره الجيل اثر الجيل ، ويكفيك فخرا ان الثقافة التي غذيتها من نسغ روحك ورحيق فنك قد اصبحت مرجعا هاما من المراجع الموثوقة التي تؤرخ للحركة الادبية في القطر ....

فسلام عليك يوم بدأت

وسلام عليك وانت تواصل رحلة العمر

وسلام على اسرة الثقافة ، محررين وكتابا

وبورك العمل والعامل

ولن يضيع الله اجر من احسن عملا ...

اريحا ـ محمد قرانيا